بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ١٧ ـ شوال ١٤٢٩هجرية قمرية

مهر ١٣٨٧هجرية شمسية / تشرين الأول (اكتوبر) ٢٠٠٨م

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: 88321616 9821+هاتف: 88321411 9821+

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥-١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤. ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥. المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ١٧

الاختراق في جبهة التقريب ٤

رسائل القرآن ٩

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي ١٦

شبهات حول التقريب ٢٠

مفاهيم هامة ٢٦

الاستغاثة الأندلسية ٣٥

الأخلاق أعظم ساحة للتقريب ٤٥

مفهوم الشخصية ٦٣

ابن العميد ٦٩

العلم والإيمان ٨٣

أبو تمام الطائي وإيران ٩٦

أخبار الساعة ١١١

الاختراق
في جبهة التقريب

في العدد الأخير من ثقافة التقريب (١٦) الذي صدر في شهر رمضان المبارك ذكرنا تحت عنوان: «رمضان والتقريب» دور هذا الشهر المبارك في توحيد أرواح المسلمين وقلوبهم وعقولهم حول محور التوجه إلى الله سبحانه ومحور الصبر والمصابرة والمقاومة والتزكية.

وذكرنا أن الدعاة إلى الله يجب أن يغتنموا مثل هذه الفرص في توجيه الأمة نحو مثلها الأعلى الواحد الحقّ، لكننا حذرنا من المرجفين الذين يحاولون دائمًا تحويل الفرصة إلى غُصّة عبر ما تبثه بعض الفضائيات من ابتذال وتحلل خلقي وإثارات طائفية في هذا الشهر بالذات.

لكننا واجهنا في الشهر المبارك المنصرم تصدّعًا في جبهة التقريب، وضجّة أثارها من نعتبره ركنًا من أركان التقريب وعمودًا من أعمدة الاعتدال والحكمة في الدعوة.

محور الضجّة موضوعات قديمة كانت قائمة في عصور الإسلام المختلفة، وكان دعاة التقريب على مرّ العصور يتعالون على هذه الخلافات ويوجهون الأمة نحو الأهداف الكبرى لتأخذ الخلافات حجمها الطبيعي، ولا تطغى على الساحة لتصادر أكبر

أهداف هذه الأمة وهو وحدتها واعتصامها بحبل الله والابتعاد عن التفرّق وذهاب الريح.

نحن لم يتزعزع إيماننا بروّاد التقريب، لكننا على ثقة بأن هذه الضجّة وراءها اختراق... وهدف الاختراق هو استفزاز هذا الجانب ضدّ الجانب الآخر، عن طريق نشر الأكاذيب والتهويل وافتعال الحوادث.

ما سجله لنا التاريخ من حوادث اختراق المنافقين والمرجفين لإثارة النزاعات بين المؤمنين كثير كثير.. وما شهدناه نحن في إيران خاصة بعد انتصار الثورة الإسلامية من استفزازات قومية وطائفية وحزبية قد يفوق ماحدث في كلّ التاريخ الإسلامي!!

ثمة فئات تعادي الإسلام وتعادي إقامة دولة الإسلام، لا ترى سبيلاً لمواجهة الظاهرة الإسلامية في إيران أنجع من إثارة النعرات القومية أو القيام باستفزازات طائفية خاصة بين الشيعة والسنّة.

يكاد لم يمرّ يوم خلال الاعوام الثلاثين الماضية إلاّ وفيه خبر عن مثل هذه الإثارات.. لكن المسؤولين هنا لحسن الحظ يدركون بوعي كامل هدف هذه الإثارات، ويعرفون من يقف وراءها، فيسعون إلى تطويقها بشكل حكيم كي لا تتحول إلى ضجّة.

خلال العقود الثلاثة الأخيرة رأينا في إيران من يفجّر مرقد الإمام علي بن موسى الرضا ثامن أئمة أهل البيت، وواضح الهدفُ الطائفي الذي يرمي إليه هذا التفجير، ولولا حكمة القائمين على

الأمـر لتحـوّل إلى صـراع طـائفي، لكـن المسـألة طُوّقـت، ثـم بـوعي كامـل تـابع المسـؤولون القضـية فوجـدوا أن نفـس هـؤلاء الـذين وضـعوا المتفجـرات في حـرم الرضـا يهمّـون بوضـع متفجـرات في مسجد من مساجد أهل السنّة في محافظة زاهدان.

رأينـا بـأم أعيننـا أناسًـا يعقـدون مجـالس شـيعية فيهـا إثـارة طائفية، ثم يصوّرونها، ويقدمون أفلامها بأنفسهم إلى أهل السنّة.. ورأينا من هذا الكثير.. وما خفي أعظم..

لكـنّ الـذي أحـبط هـذه المحـاولات جميعًـا هـو وعـي المسـؤولين.. غير أنها مستمرّة على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ويأتي على رأس الواعين على هذه المسألة السيد القائد حفظه الله، فهو بتجربتـه العمليـة وبعلمـه الواسـع وباطلاعـه الشـامل علـى مجريات الأمور يتابع هذه الإثارات في الداخل ويحبطها..

أمـا علـى الصـعيد الخـارجي فلـيس لـه إلاّ أن يرسـل نـداءات التوعية والتحذير وبيان الحقائق.

في العدد السابق أكد سماحته على معنى التقريب بقوله:

«مـن الواضـح أننـا لا نـدعو إلى أن يتحـول الشـيعة إلى سنّة، أو السـنة إلى شـيعة، ولا أن تنحـلّ المذاهب في مذهب واحد، ولا نطلب أن يكفّ الشيعة أو السنّة عن العمـل العلمـي بمقـدار مـا يسـتطيعون لتعميـق مدرستهم الفكرية، العمل العلمي لا غبار عليه بل هو مفيد جدًا».

واكد على ضرورة قبول التعددية المذهبية بقوله:

«بعض دعاة اتحاد المسلمين يرفضون تعدد المذاهب. رفض التعددية المذهبية لا يحلّ مشكلة، بل الاعتراف بتعدد المذاهب هو الذي يحلّ المشكلة. هذه المذاهب الموجودة عليها أن تمارس نشاطها كل في دائرة عملها، وعليها أيضا أن تقيم فيما بينها علاقات طيبة. ليؤلفوا كتبًا علميّة في جوّ علمي لا في جوّ غير علمي، لو أراد أحدٌ أن يقدّم خطابًا يقوم على أساس منطقي فلا يجوز أن يمنعه مانع. أمّا إذا أراد أحدٌ بكلامه أو بعمله أو بأية ممارسة أخرى أن يثير الخلافات فرأينا فيه أنه يخدم العدوّ. ولابد أن يكون السنة وأن يكون الشيعة أيضا على حذر.

من حقّ أي شخص ومن أي مذهب كان أن يحترم عقائده ومقدّساته، لكن هذا الاحترام لا يجوز أن تشوبه إهانة بمقدسات الآخر الذي يختلف معه. نحن نؤمن بإسلام واحد وبكعبة واحدة وبنبي واحد، وبصلاة واحدة، وبحج واحد، وبجهاد واحد، نؤمن بشريعة واحدة ونعمل بها.

«مساحة الاختلاف أقل بكثير من مساحات الاتفاق. أعداء الإسلام يستهدفون إثارة الاختلافات

بين السنّة والشيعة لا في بعض نقاط إيران فحسب ،
بل في جميع العالم الإسلامي» .

وفي هذا العدد يحذّر من اتخاذ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وسيلة لتفريق المسلمين، وهو تحذير يفهم معناه كلّ من يتابع محاور الإثارات الطائفية.

نعود بعد كل هذا إلى موضوع الاختراقات فنحذّر منه، ونطلب من روّاد التقريب أن يكونوا الماء الذي نلجأ اليه عندما نغصّ بمسألة، وأن يكونوا الروض الذي نستجير به من رمضاء الطائفية.

ونذكرهم وأنفسنا بقوله سبحانه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ .

الاعلام الغربي يردّد دائمًا مقولة خطر المدّ الشيعي في العالم العربي وأفريقيا، والغرب وراء مزاعم «الشيعة فوبيا» لزرع بذور الفتنة بين المسلمين. ويكفينا أن نعلم أنّ نغمة التحذير من المدّ الشيعي تعالت بعد انتصار حزب الله الشيعي على إسرائيل في صيف عام ٢٠٠٦.

محمد علي التسخيري

نقلا عن اسلام اون لاين

رسائل القرآن

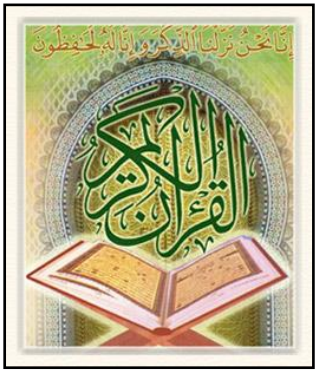

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

محسن قراءتي*

٥٨- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

الرسائل:

● **القرية كما ورد في سورة المائدة/ ٢١ هي بيت المقدس. لما خرج بنو إسرائيل من التيه بعد أربعين عامًا أُمروا أن يدخلوا بيت المقدس، سجّدًا أي راكعين متواضعين أو ساجدين سجدة الشكر، وأن يقولوا: ﴿حِطّه﴾ أي حطّ عنا ذنوبنا. وقد يكون الباب في الآية بوابة المدينة أو باب القبة التي كان يصلّي إليها موسى عليه السلام.**

---

* ـ داعية إسلامي معروف.

● تـأمين الحاجـات المعيشـية مقـدّم علـى العبـادة وممهّـد لهـا: ﴿فكلوا منها.. وادخلوا الباب سجّدًا﴾ .

● للـدخول في المكـان المقـدس لابـدّ مـن أداء احـترام خـاص: ﴿ادخلوا البابَ سُجّدًا﴾ .

● الغفـران منـه سـبحانه، ولكـن لابـدّ لنـا مـن طلـب المغفـرة: ﴿قولوا حطّة نغفرْ لكم﴾ .

● علينـا أن نـتعلم مـن ربّ العـالمين آداب الـدعاء وطريقـة التوبـة أيضًا: ﴿ ادخلوا الباب سجّدًا وقولوا حطّة﴾ .

● العمـل بتعـاليم الله سـبحانه يمهّـد للغفـران: ﴿ ادخلـوا.. قولوا.. نغفر لكم﴾ .

● الاسـتغفار للمـذنب حَـطٌّ للـذنوب، وللمحسـن عُلـوّ الدرجـة: ﴿نغفرْ لكم خطاياكم وسنزيدُ المحسنين﴾ .

٥٩- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾

الرسائل:

● بـدل أن يسـتجيب بنـو إسـرائيل لـربّ العـالمين لجّ الظـالمون في عنادهم وبدّلوا ما قيل لهم بكلمة أخرى، قيل إنهم قالوا: «حنطة» وقيل غير ذلك. موضوع هذه الآية والآية السابقة تكرر في الآيتين ١٦١ و١٦٢ من سورة الأعراف.

والرِّجز الذي نزل على الظالمين هو العذاب، وقبل إنه الطاعون وحالة القلق والاضطراب.

والسياق يشير إلى أنّ سنة الله في البشر هي الرحمة، فقد أغدق على هؤلاء القوم «المنّ» و«السلوى»، لكن الانحراف هو الذي يستنزل العذاب الإلهي.

- الظلم والذنب يوفّر الجوّ النفسي لتغيير تعاليم ربّ العالمين: ﴿فبدّل الذين ظلموا﴾ .
- الإنسان حرّ في اختيار أسلوب العمل مادام ذلك الأسلوب غير مبيَّن، ولكنه لا يُعذر في تغيير الأسلوب بعد بيانه: ﴿ قيلَ لهم﴾.
- القهر والعذاب نتيجة حتمية لتحريف التعاليم السماوية: ﴿رجزًا من السماء﴾ .
- الجزاء لا ينحصر بالآخرة، بل بعض أنواع الجزاء يتلقاها الفرد في هذه الدنيا: ﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا... ﴾ .
- حين يتحول الانحراف إلى عادة متأصّلة ينزل العذاب الإلهي:﴿بما كانوا يفسُقون﴾ والفِسق الخروج عن طاعة الله.

٦٠- ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

الرسائل:

● يذكّر الله سبحانه نبيه: ﴿ وإذ﴾ أي واذكر إذ ﴿ استسقى﴾ أي طَلَبَ السقيا، فأمر الله نبيّه أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت اثنتا عشرة عينًا، بعدد أسباط بني إسرائيل، والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل عند العرب. وفي العدد «اثنا عشر» سرّ، فهو عدد نقباء بني إسرائيل، وعدد حواريي عيسى عليه السلام، وعدد خلفاء رسول الله(ص) بإجماع المسلمين.

﴿ ولا تعثَوا﴾ من عَثِيَ القوم إذا أفسدوا أشدّ الفساد، وقوله: ﴿ولا تعثَوا في الأرضِ مُفسدين﴾ قد يشير إلى أن النهي إنما هو عن التوغّل في الفساد، لا عن ارتكاب الخطأ عن غير عمد ودون إرادة الفتنة، فهذا مشمول بالعفو.

● الأنبياء في صدد تلبية الاحتياجات المادية للناس أيضا: ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه﴾ .

● في كل حاجاتنا نتجه إلى الله سبحانه، حتى في طلب الماء: ﴿استسقى﴾ .

● قوانين الطبيعة خاضعة لإرادة الله سبحانه: ﴿ اضرب... فانفجرت﴾ فالله سبحانه مسبّب الأسباب ومغيّب الأسباب. بعصا موسى يتحول البحر إلى يابسة حينًا، وتجري بها المياه من الصخرة حينًا آخر..

● دعاء الأنبياء مستجاب: ﴿أستسقى.. انفجرت﴾ .

● جريان الماء من الحجر بضربة عصا معجزة، وانفجار اثنتي عشرة عينًا لاثنتي عشرة قبيلة معجزة أخرى: ﴿ اثنتا عشرة عينا﴾.

● التوزيع العادل للثروة يوفّر الأمن والسعادة، ويحول دون الاختلاف: ﴿ قد عَلِمَ كلُّ أُناسٍ مَشْرَبَهم﴾ .

● التمتع بالنعم الإلهية ينبغي أن لا يجرّ إلى فساد: ﴿ كلوا... ولا تعثَوا﴾ .

● لدرء حدوث المفاسد، لابد من التذكر أن هذه النعم هي من رزق الله: ﴿ كُلُوا واشربوا من رزق الله﴾ .

٦١- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يعتدون﴾

الرسائل:

● يذكّر القرآن القومَ بهبوط إرادتهم واستفحال شهواتهم، وما آل إليه أمرهم بسبب كفرهم وعصيانهم. بنو إسرائيل في التيه

كانوا منعّمين بالمنّ والسلوى، لكنّهم طلبوا تنوّع الطعام وتاقت أنفسهم الهابطة إلى ماهو أدنى. فطلبوا البَقل (الخضروات)، والقثّاء (الخيار)، والفوم (الثوم أو الحنطة) والعدس والبصل. وهذا أدنى من المنّ والسلوى، ولكنهم طلبوا الاستبدال. فقيل لهم: ﴿اهبطوا مصرًا﴾ ومصر هي إما مصر فرعون حيث كانوا فيها أذلاّء، أو أية مدينة أخرى، ﴿ فإن لكم ما سألتم﴾ ويقتضي السياق أن الله وكَلَهم إلى أنفسهم. فذلّوا وابتُلوا بالمسكنة (أي الفقر)، وهي حالة نفسية يحملها اليهود.

● شهوات البطن عامل من عوامل سقوط الإنسان وهبوطه: ﴿لَنْ نصبر على طعام واحد... اهبطوا﴾ .

● عدم رعاية الأدب في الكلام علامة الطغيان والعصيان. وفي قوله: ﴿ لن نصبر﴾ و ﴿ ادع لنا ربك﴾ لا ربّنا، فيه كثير من الصلافة وقلّة الأدب.

● بنو إسرائيل، كانوا دائمًا حريصين على الاستزادة والتوسّع بصلافة وشَرَه وأنانية: ﴿ فادعُ لنا.. يُخرجْ لنا﴾ .

● الهبوط في التطلّعات علامة هبوط وخسّة في الطباع: ﴿ من بقلها، وقِثّائها، وفومها، وعدسها، وبصلها﴾ .

● الرضى بما قسم الله والصبر عليه عامل خير لتحقيق مصلحة الإنسان: ﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾؟!

● التمتع بوسائل الرفاه قد لا يكون عامل كمال، بل قد يكون

عامل هبوط: ﴿ اهبطوا مصرًا﴾ .

● الجرائم الخطرة لها خلفية من أفكار منحرفة خطرة: ﴿يكفرون.. يقتلون﴾ .

● تاريخ الأنبياء مقرون بالشهادة في سبيل الله: ﴿ يقتلون النبيين﴾.

● توالي العدوان والمعصية يؤدي إلى الكفر وإلى ارتكاب كل جريمة: ﴿ يكفرون... ويقتلون... ذلك بما عصوا﴾ .

● الذلة والشقاء لا يختصان بقوم بعينهم، ولكنها نتيجة انحراف في العقيدة والسلوك: ﴿ ذلك بأنهم كانوا يكفرون﴾ .

حينما أعلنت إيران الشاه اعترافها بإسرائيل كتب الداعية الكبير فتحي يكن في وقتها: «لابدّ للعرب أن يتلمّسوا في إيران نوابًا وإخوان نواب (المقصود نواب صفوي) لكن الدول العربية لم تدرك هذا حتى الآن.. ولم تعلم بأن الحركة الإسلامية هي وحدها التي تدعم قضاياها خارج العالم العربي.. فهل لإيران اليوم من نواب» ؟!

الاستاذ يكن يدعو الاسلاميين إلى انتظار نواب.. فلماذا بالله تورمت أنوف واحمرت أنوف عندما جاء نواب ومَن هو أعظم من نواب؟! (ويقصد الامام الخميني)

الشهيد فتحي الشقاقي

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

رموز الوحدة الإسلامية

في سيرة رسول الله(ص) اهتمامات متعدّدة، لكنّا نستطيع أن نجزم دون أن نخشى زللاً بأن توحيد صفوف المسلمين كان على رأس قائمة اهتمامات النبي الأكرم(ص).

موقفه عليه أفضل الصلاة والسلام المتشدّد تجاه أية نزعة قبليّة كانت تظهر بين الفينة والأخرى بين الصحابة أمرٌ لا يخفى على أحد. ولعلّه (ص) لم يغضب في موقف ولم ينه بلغة حادّة كما فعل في موقفه من ظهور نزعة جاهلية مفرّقة للصفوف.

وتأكيده (ص) على وحدة المسلمين ومساواتهم ورصّ صفوفهم تملأ كتب الصحاح والسنن.

أليس من الغريب مع كل هذا أن يحدث تفرّق وصراع بين المسلمين وهم يتلون قوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ويقرأون ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ويقرأون: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ﴾ ويقرأون: ﴿حَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾.

أين نحن من رسول الله ومن سنته ومن تأكيد القرآن على اتخاذه أسوة؟!!

ثمّ إن هناك العامل العاطفي الذي يجمع المسلمين حول رسول الله(ص) وهو «حبّه». فالمسلمون تشرّبت قلوبهم منذ طفولتهم بحبّ هذا النبي الكريم. وهذا الانشداد العاطفي يستطيع أن يكون أعظم محور لوحدة المسلمين وتآلف قلوبهم. ولعلّ كل هذا دعا الجمهورية الإسلامية الإيرانية اتحاد ذكرى مولد رسول الله(ص) أسبوعًا للوحدة الإسلامية، والطريف في الأمر أن أسبوع الوحدة الإسلامية يبدأ من رواية غالبة بشأن المولد النبوي عند أهل السنة وهي ١٢ ربيع الأول وينتهي برواية غالبة عند الشيعة وهي ١٧ ربيع الأول.

هذا الرمز الكبير للوحدة الإسلامية يتطلب العمل على تبيين معالم حياته وغرس محبته ضمن رؤية رسالية شاملة. يقول السيد القائد:

> **إحدى العوامل التي تستطيع أن تكون محورًا لوحدة المسلمين إيماننا بالوجود المقدس للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم . المسلمون والمثقفون الإسلاميون يتحملون مسؤولية توظيف جهودهم في معرفة شخصية هذا النبي الكريم وتعاليمه ومحبته برؤية شاملة للرسالة الإسلامية.**

وثمة رمز آخر من رموز وحدة المسلمين وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). علي في سلوكه مع الخلفاء ومع الأمة، بل ومع أعدائه ومعارضيه، يدلّ دلالة واضحة أنه وضع مسألة وحدة المسلمين في رأس قائمة اهتماماته. وهذه مسألة متَّفق عليها بين المسلمين. وثمة مسألة أخرى هي أيضا موضع اتفاق كل المذاهب الإسلامية هي مكانة هذا الإمام الصحابي الكبير. مكانته في الجهاد وفي الدفاع عن حياض الإسلام، وفي صيانة المسيرة الإسلامية من التلكؤ أو الانحراف، وفي دفع المسيرة الحضارية نحو أهدافها المرسومة. وفي تقديمه المثل الأعلى للإنسان المسلم الذائب في ذات الله، وللحكم المسلم العادل الذي لا تأخذه في ذات الله لومة لائم و...

طبعًا لكل العظماء معارضون، وهكذا علي بن أبي طالب(ع). لكن إجماع المسلمين بمختلف مذاهبهم على أنه القدوة والأسوة والمقدّم في أهل بيت رسول الله(ص) الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

السيد القائد يركز على هذه المسألة، أي على مكانة علي بين المسلمين جميعًا، لأن بعض الجهلة أو المغرضين حاولوا أن يجعلوا من علي(ع) منطلق إثارة للتفريق بين السنة والشيعة. بعبارة أوضح وأكثر شفافية حاول بعضهم باسم الدفاع عن علي أن يطعن في هذا المذهب أو ذاك.

الإمام الخامنئي بعلن موقفه بصراحة في هذا الشأن إذ يقول:

«وأضيف إلى ما سبق هذه المسألة، وهي أن لا تتخذوا من أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب عليه السلام) ذريعة لإيقاع الاختلافات بين السنّة والشيعة والفِرق الإسلامية الأخرى.

«أمير المؤمنين نقطة وحدة، لا نقطة افتراق. على إخوتنا وإخواننا في جميع أرجاء البلاد أن يثقوا بأن أمير المؤمنين محور الوحدة. كل العالم الإسلامي خاضع أمام شخصية أمير المؤمنين، لا فرق في ذلك بين السنّة والشيعة. كان ثمة فئة ضئيلة باسم النواصب تعادي أمير المؤمنين.

«كانت ثمة فئة تناصب العداء لأمير المؤمنين في عصور الإسلام الأموية والعباسية، لكن الأمة الإسلامية بعامّتها من السنّة والشيعة تجلّ أمير المؤمنين. أئمة المذاهب الفقهية السنيّة لهم نصوص في الثناء على أمير المؤمنين، وللإمام الشافعي أشعار في مدحه، بل له أشعار في مدح أئمة آخرين من أهل البيت. وهذا واضح عندنا نحن الشيعة كل الوضوح.

شبهات حول التقريب

محمد علي التسخيري*

أثيرت حول مشروع التقريب شبهات تارة بحسن نية وأخرى بنية سيئة من قبيل:

١- أن الاختلاف بين المذاهب الإسلامية إنما هو في الأصول.

٢- أن الاختلاف بين المذاهب الإسلامية انما هو في اختلاف المصادر.

٣- اتهام كل طرف الآخر بالابتداع.

٤- اتهام كل طرف الآخر بالشرك عبر تبيين لوازم العقيدة.

٥- اتهام كل طرف الآخر بالنفاق والتآمر.

٦- تصور أن القبول بالحوار ينم عن شك في المذهب أو قبول ضمني بآراء الآخرين.

٧- تصور أن التقريب يستهدف التذويب وحمل الناس على مذهب واحد وهو أمر باطل، إذن فالتقريب باطل.

٨ - تصور أن التقريب يسهل الأمر للانتقال من مذهب لآخر

---

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

وبالتالي تخريب المعادلة بين المذاهب.

٩- تصور أن التقريب غطاء للتسلل الى المذهب الآخر وتبليغ التعاليم المنافية له والتشكيك فيه.

١٠- تصور أن التقريب حركة ذات مصلحة سياسية بعيدة عن جوهر الدين.

الى ما هنالك من تصورات واجهت شخصيًا بعضها وقرأت عن البعض الآخر الكثير.

ولكني أشهد الله تعالى على ما في قلبي وفكري حين أقول إني لم أر لهذه الشبهات أي واقع ولا أرى أنها تعدو مرحلة (الشبهة) وإن كنت لا أمانع أن تقوم جماعة بدراستها وكشف زيفها.

ولكني أشير هنا الى الحقائق التالية:

أولاً: إننا لاحظنا مسألة اهتمام القرآن بالحوار حتى مع المشركين وأهل الكتاب فكيف نتصور منعه للتفاهم بين المسلمين.

ثانيًا: إن هناك بحثًا قرآنيًا وحديثيًا واسعًا حول (المداراة) كصفة رائعة للمسلم يتعامل بها مع الآخرين ولا مجال للتفصيل هنا.

ثالثًا: إن الأئمة كانوا يعيشون معًا ويدرس بعضهم على بعض حتى ليتباهى بعضهم بفترة دراسته هذه، كما لم يكونوا ليحتكروا العلم بالحقيقة في حين نجد بعض أتباعهم يبتعدون حتى عن التفاهم.

رابعًا: ولقد شهدنا حركة تقريبية في الأزهر الشريف في الخمسينات شارك فيها الإعلام والعلماء ومنهم:

١- الأستاذ الأكبر الشيخ المراغي.

٢- الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق.

٣- الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم.

٤- الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت.

٥- العالم الكبير الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.

٦- العالم الكبير السيد شرف الدين الموسوي.

٧- الإمام الكبير السيد البروجردي.

٨ - الأستاذ الكبير السيد هبة الدين الشهرستاني.

٩- والعالم الشيخ محمد تقي القمي.

وهم علماء كبار سنة وشيعة قاموا بحمل لواء التقريب؛ فهل خفيت عليهم هذه الشبهات وبعضها يتصل بالأصول؟!

وقد استبشر المرحوم الشيخ محمد محمد المدني بخطوة رائعة اتخذها الأزهر بتدريس المذهب الشيعي الإمامي والزيدي في أكبر كلية من كلياته وأخرى اتخذتها إيران (آنذاك) بإدخال فقه السنة في كلية المعقول والمنقول.

خامسًا: وقد شهدت حركة التقريب تقدمًا واسعًا وقبولاً عامًا اليوم.

وأروع مثال على ذلك قيام أكبر مجمع فقهي هو مجمع

الفقه الإسلامي بجده بإيجاد شعبة متخصصة باسم (شعبة التقريب بين المذاهب الإسلامية) وحصول روح توافقية عامة حرة في اجتماعاته العامة، مما يكشف عن وحدة المنابع والرؤى وانفتاح للعالم الإسلامي على بعضه البعض. وقد أسس في الجمهورية الإسلامية الإيرانية (المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية) وهو يضم في مجلسه الأعلى علماء من المذاهب الإسلامية المتنوعة، وقد قام هذا المجمع بدوره بتأسيس (جامعة المذاهب الإسلامية).

هذا وقد اعتمدت (الايسيسكو) . المنظمة العالمية الإسلامية للتربية والعلوم . التقريب هدفًا وعقدت له مؤتمرات في شتى أنحاء العالم.

كما قامت المراكز العلمية الدينية في البلدان الإسلامية كالمغرب ومصر والجزائر والأردن وسوريا ولبنان وإيران وباكستان والسودان وماليزيا واندونيسيا وغيرها بعقد الندوات والمؤتمرات العالمية لتركيز هذه الحقيقة.

سادسًا: إننا يجب أن نحدد ماذا نعني بالأصول حتى يتضح لنا ماذا نقصد من قولنا عدم وجود الاختلاف فيها؟ وإذا لخصنا البحوث المفصلة حول الحدود التي تفصل بين الإسلام واللاإسلام استنادًا للآيات الكريمة والروايات الشريفة فإنها جميعًا تركز على الحدود التالية:

١ـ الإيمان بالتوحيد الإلهي إجمالاً.

٢ ـ الإيمان بنبوة الرسول الأكرم(ص) ولزوم طاعته في كل ما يصدر عنه.

٣ ـ الإيمان بالقرآن الكريم والعمل بكل أوامره ونواهيه وقبول كل تصوراته وتعاليمه.

٤ ـ الإيمان بالمعاد إجمالاً.

٥ ـ الإيمان بتشريع الإسلام لمجموعة من الأحكام التي تنظم السلوك الفردي والاجتماعي ولزوم تنفيذها.

ولا أجد أي خلاف على هذه الأصول مطلقاً، نعم هناك خلافات حول التفصيلات مثلاً:

١ ـ في الصفات الإلهية وعلاقتها بالذات.

٢ ـ في المسائل العقائدية الفرعية كالجبر والاختيار والقضاء والقدر، والشفاعة وغير ذلك.

٣ ـ في إثبات بعض الروايات وردها سنداً أو دلالة ويترتب عليه اختلافات أخرى.

٤ ـ في مسائل الخلافة والإمامة.

٥ ـ في بعض الأحكام التشريعية.

وغير ذلك.

إلا أنهم متفقون جميعًا على انه إذا ثبت شيء بالقرآن الكريم أو السنة الشريفة فإنه يجب الإذعان له دونما تردد.

وينبغي التنبيه على أن البعض يحاول إلجاء الطرف المخالف للخروج من الحدود الإسلامية من خلال ذكر لوازم قوله مثلاً بهذا الرأي. وهذا الأسلوب مرفوض في هذا المجال مادام الطرف الآخر لا يعتقد بهذا اللزوم، إذ لو كان يعترف به كان عليه التراجع بعد أن نفترض إيمانه بالأصول المذكورة. فلا يمكن ان نخرج فردًا عن الإسلام لان من لوازم قوله في نظرنا نفي الأصول الأولى وبهذا نحل مسألة الاتهام بالابتداع والشرك.

سابعًا: من الواضح أن مصادر التشريع لدى كل المسلمين هي الكتاب والسنة، ولا يتنافى هذا مع الاختلاف مثلاً في علاقة الكتاب بالسنة وهل لها أن تخصص العام الكتابي مثلا أم لا.

ولا مع الاختلاف أحيانًا في الطرق الموصلة الى السنة.

ولا مع الاختلاف مثلاً في دلالة التقرير النبوي.

ولا مع الاختلاف في وجه صدور الأمر النبوي وهل هو باعتباره حاكمًا أو باعتباره رسولاً.

ثامنًا: أما منطق الاتهام والتشكيك فنحن منهيون عنه.

تاسعًا: إن حركة التقريب كما هو واضح لا تستهدف التذويب مطلقًا، وهي تؤمن بأن المذاهب كلها ثروة لهذه الأمة والحضارة، كما تؤمن بأن فكرة المذهب الواحد خيال محض.

مفاهيم هامة
في التقريب

وقفة عند حديث افتراق الأمة
إلى ثلاث وسبعين فرقة

يوسف القرضاوي*

قد يشوش على الوحدة المفروضة والمنشودة، حديث اشتهر في الكتب : كتب السنة، وكتب العقائد، وكتب الفرق، وتناقله الناس بعضهم عن بعض حتى اعتقدوا - لشيوعه وشهرته - أنه حديث ثابت لا مطعن فيه، مع أن الشهرة لا تلازم الثبوت والصحة. ذلكم هو حديث افتراق الأمة إلى فرق فوق السبعين، كلها في النار إلا واحدة، وهو حديث يوحي ظاهره بأن الفرقة أبدية في الأمة، وأنها قدر مكتوب عليها، لا فكاك منه. وينبغي أن نبحث بموضوعية وحياد في هذا الحديث، من ناحية ثبوته، ومن ناحية دلالته إن ثبت.

قيمة الحديث من ناحية سنده:

أ) فأول ما ينبغي أن يعلم هنا أن الحديث لم يرد في أي من الصحيحين، برغم أهمية موضوعه، دلالة على أنه لم يصح على شرط واحد منهما. وما يقال من أنهما لم يستوعبا الصحيح، فهذا مسلّم، ولكنهما حرصًا على ألا يدعا بابًا مهمًا من أبواب

* - داعية الاعتدال والتقريب.

العلم إلا ورويا فيه شيئًا ولو حديثًا واحدًا.

ب) إن بعض روايات الحديث لم تذكر أن الفرق كلها في النار إلا واحدة، وإنما ذكرت الافتراق وعدد الفرق فقط. وهذا هو حديث أبي هريرة الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم، وفيه يقول : (افترقت اليهود على إحدى – أو اثنتين – وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى – أو اثنتين – وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)[1] .

والحديث . وإن قال فيه الترمذي : حسن صحيح، وصححه ابن حبان والحاكم . مداره على محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي، ومن قرأ ترجمته في "تهذيب الكمال"وفروعه[2] علم أن

---

١ - أبو داود في السنة برقم (٥٩٦ ٤) والترمذي في الإيمان (٢٦٤٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجة في الفتن مختصرًا (٣٩٩١) وابن حبان، كما في الإحسان (٦٢٤٧/٦٧٣١) والحاكم (١/٦) وصححه على شرط مسلم ورده الذهبي.

٢ - يحسن بنا أن نذكر هنا نبذة عنه مما نقله الحافظ المزّي في تهذيب الكمال عن أئمة الجرح والتعديل : سأل عنه علي بن المديني : يحيى بن سعيد بن القطان : محمد بن عمرو كيف هو : قال : تريد العفو أم تشدد؟ قال : لا بل أشدد. قال : ليس هو ممن تريد. كان يقو ل : حدثنا أشياخنا أبو سلمة، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب. قال يحيى : وسألت مالكًا عن محمد بن عمرو فقال : فيه نحوًا مما قلت لك.

ـــ وقال إسحاق بن حكيم : قال يحيى القطان : وأما محمد بن عمرو فرجل صالح، ليس بأحفظ الناس للحديث.

ـــ وقال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين : أنه سئل عن محمد بن عمرو،

الرجل متكلّم فيه من قِبَل حفظه، وأن أحدًا لم يوثقه بإطلاق، وكل ما ذكروه أنهم رجحوه على من هو أضعف منه. ولهذا لم يزد الحافظ في التقريب على أن قال : "صدوق له أوهام. والصدق وحده في هذا المقام لا يكفي ما لم ينضم إليه الضبط، فكيف إذا كان معه أوهام؟ ".

ومعلوم أن الترمذي وابن حبان والحاكم من المتساهلين في التصحيح، وقد وصف الحاكم بأنه واسع الخطو في شرط التصحيح.

وهو هنا صحح الحديث على شرط مسلم، باعتبار أن محمد بن عمرو احتج به مسلم، ورده الذهبي بأنه لم يحتج به منفردًا، بل

ومحمد بن إسحاق أيهما يقدم؟ فقال : محمد بن عمرو.

ـــ وقال أبو بكر بن أبي خيتمة : سئل يحيى بن معين عن محمد بن عمرو، فقال : مازال الناس يتقون حديثه، قيل له : وما علة ذلك؟ قال : كان يحدث مرة عن أبي سلمة بالشيء من رأيه ثم يحدث به مرة أخرى عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

ـــ وقال إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني : ليس يقوي الحديث، وينتهي حديثه.

ـــ وقال أبو حاتم : صالح الحديث، يكتب حديثه، وهو شيخ.

ـــ وقال النسائي : ليس به بأس. وقال في موضع آخر : ثقة.

ـــ وقال أبو أحمد بن عدي : له حديث صالح، وقد حدث عنه جماعة من الثقات كل واحد منهم ينفرد عنه بنسخة. ويغرب بعضهم على بعض، ويروي عنه مالك حديث في "الموطأ" وأرجو أنه لا بأس به.

وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال : كان يخطىء انظر تهذيب الكمال ٢١٥/٢٦ . ٢١٧ . فمثل هذا الراوي . بعدما قرأنا ما قيل فيه . لا يؤخذ عنه حديث خطير يكون هو العمدة فيه، والمعول عليه. مثل حديثنا هذا.

بانضمامه إلى غيره [1] .

على أن هذا الحديث من رواية أبي هريرة ليس فيه زيادة : أن الفرق"كلها في النار إلا واحدة"وهي التي تدور حولها المعركة

وقد روي الحديث بهذه الزيادة من طرق عدد من الصحابة: عبد الله بن عمر، ومعاوية، وعوف بن مالك، وأنس، وكلها ضعيفة الإسناد، وإنما قووها بانضمام بعضها إلى بعض.

والذي أراه أن التقوية بكثرة الطرق ليست على إطلاقها، فكم من حديث له طرق عدة ضعفوه، وخصوصًا المتقدمين، كما يبدو ذلك في كتب التخريج، والعلل، وغيرها! وإنما قد يؤخذ بها فيما لا معارض له، ولا إشكال في معناه.

وهنا إشكال أي إشكال : في الحكم بأن التفرق قدر حتمي مكتوب على الأمة لا فكاك لها منه، وكذلك الحكم بافتراق الأمة أكثر مما افترق اليهود والنصارى من قبل، وبأن هذه الفرق كلها هالكة في النار إلا واحدة منها! وهو يفتح بابًا لأن تدّعي كل فرقة أنها الناجية، وأن غيرها هو الهالك، وفي هذا ما فيه من تمزيق للأمة وطعن بعضها في بعض، مما يضعفها جميعًا ويقوي عدوها عليها ويغريه بها.

---

١ - المستدرك ١/٦ وفي موضع آخر ١/١٢٨ أقره الذهبي، وهذا يتكرر كثيرًا في تلخيصه، فلعله غفل عما ذكره من قبل، أو اكتفى به. ومن المعلوم أن البخاري أيضًا روى لمحمد بن عمرو ولكن مقرونًا بغيره معلقًا كما في مقدمة الفتح فكان يمكن للحاكم على طريقته أن يقول : على شرطهما.

ولهذا طعن العلامة ابن الوزير في الحديث عامة، وفي هذه الزيادة خاصة، لما تؤدي إليه من تضليل الأمة بعضها لبعض، بل تكفيرها بعضها لبعض.

قال رحمه الله في العواصم وهو يتحدث عن فضل هذه الأمة، والحذر من التورط في تكفير أحد منها، قال : «وإياك والاغترار بـ"كلها هالكة إلا واحدة" فإنها زيادة فاسدة، غير صحيحة القاعدة، ولا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة».

قال : «وعن ابن حزم : أنها موضوعة، غير موقوفة ولا مرفرعة. وكذلك جميع ما ورد في ذم القدرية والمرجئة والأشعرية، فإنها أحاديث ضعيفة غير قوية»[1] .

ج) إن من العلماء قديمًا وحديثًا من رد الحديث من ناحية سنده، ومنهم من رده من ناحية متنه ومعناه [2].

---

١ - العواصم والقواصم ١٨٦١١.

٢ -ـ وفي متن هذا الحديث إشكال من حيث أنه جعل هذه الأمة التي بوأها الله منصب الشهادة على الناس، ووصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس، أسوأ من اليهود والنصارى في مجال التفرق والاختلاف، حتى إنها زادت في فرقها على كل من اليهود والنصارى. هذا مع أن القرآن قال في شأن اليهود : ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾ (المائدة/ ٦٤). وقال في شأن النصارى : ﴿ومن الذين قالوا : إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظًا مما ذكروا به، فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون،﴾ (المائدة /١٤). ولم يجيء في القرآن عن أمة الإسلام شيء يشبه هذا، بل فيه التحذير أن يتفرقوا ويختلفوا كما اختلف الذين من قبلهم.

والحديث يعتبر الفرقة قدرًا لازمًا للأمة، لا فكاك لها منه، وأنه الأصل، ولاً مطمع

فهذا أبو محمد بن حزم، يرد على من يكفّر الآخرين بسبب الخلاف في الاعتقاديات بأشياء يوردونها.

وذكر من هذه الأشياء التي يحتجّون بها في التكفير حديثين يعزونهما إلى رسول الله (ص)، هما :

١ . "القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة".

٢ . "تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة، كلها في النار حاشا واحدة، فهي في الجنة".

قال أبو محمد : هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به؟[1].

وهذا الإمام اليمني المجتهد، ناصر السنة، الذي جمع بين المعقول والمنقول، محمد إبراهيم (ت ٤٠ هـ) يقول في كتابه

لها إذن في أن تتوحد كلمتها. وهذا من أكبر الأخطار عليها: يأس الناس من التوحد والتجمع.

ثم إن الحديث حكم على فرق الأمة كلها . إلا واحدة . بأنها في النار، هذا مع ما جاء في فضل هذه الأمة، وأنها أمة مرحومة، وأنها تشمل أهل الجنة، أو نصف أهل الجنة.

غير أن الخبر عن اليهود والنصارى بأنهم افترقوا إلى هذه الفرق التي نيفت على السبعين غير معروفة في تاريخ الملتين، وخصوصًا عند اليهود. فلا يعرف أن فرقهم بلغت هذا المبلغ من العدد.

١ - الفصل في الملل والنحل لابن حزم، تحقيق د. إبراهيم نصر ود. عبد الرحمن عمير، ٢٩٢/٣ ، ط. دار عكاظ، جدة. وقد ذكر الشيخ الألباني في الصحيحة رقم ٢٠٤ أنه بحث عن كلام ابن حزم هذا في الفصل فلم يعثر عليه، وهو ذا واضح صريح.

"العواصم والقواصم" أثناء سرده للأحاديث التي رواها معاوية، فكان منها (الحديث الثامن) : "حديث افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا فرقة واحدة، قال : وفي سنده ناصبي [1]، فلم يصح عنه، روى الترمذي مثله من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وقال : حديث غريب. ذكره في الإيمان من طريق الإفريقي واسمه عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عنه.

وروى ابن ماجة مثله، عن عوف بن مالك، وأنس.

قال : وليس فيها شيء على شرط الصحيح، ولذلك لم يخرج الشيخان شيئًا منها. وصحح الترمذي منها حديث أبي هريرة من طريق محمد بن عمرو بن علقمة، وليس فيه "كلها في النار إلا فرقة واحدة". وعن ابن حزم : أن هذه الزيادة موضوعة، ذكر ذلك صاحب الدر المنير[2].

وقد قال الحافظ بن كثير في تفسير قوله تعالى في سورة

---

١ -. يشير إلى أزهر بن عبد الله . أو ابن سعيد . الحرازي، الذي عرف بأنه كان يسب عليًا وينال منه. انظر ترجمته في تهذيب الكمال رقم ٣١٠، ومثل هذا جدير أن يضعفه، ولا يقبل منه حديث بهذه الخطورة.

٢ - العواصم والقواصم لابن الوزير بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط، ج ٣/ ١٧٠ . ١٧٢ والمذكور هنا يرد على الشيخ الألباني الذي ذكره في (الصحيحة،) المجلد الأول، ٣/١٩ . ٢٠ أن ابن الوزير رد الحديث من جهة متنه لامن جهة سنده، ولا أدري من أين له هذا؟

الأنعام: ﴿أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ [1].

وقد ورد في الحديث المروي من طرق عنه (ص) أنه قال: "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، إلا واحدة"[2].

ولم يزد على ذلك، فلم يصفه بصحة ولا حسن، رغم أنه أطال في تفسير الآية بذكر الأحاديث والآثار المناسبة لها.

وذكر الإمام الشوكاني قول ابن كثير في الحديث، ثم قال: قلت: أما زيادة "كلها في النار إلا واحدة" فقد ضعّفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم: إنها موضوعة [3].

الحديث من حيث دلالته (على فرض ثبوته)

على أن الحديث – وإن حسنه بعض العلماء كالحافظ ابن حجر، أو صححه بعضهم كشيخ الإسلام ابن تيمية بتعدد طرقه – لا يدل على أن هذا الافتراق بهذه الصورة وهذا العدد، أمر مؤبد ودائم إلى أن تقوم الساعة، ويكفي لصدق الحديث أن يوجد هذا في وقت من الأوقات.

---

١ – الأنعام/ ٦٥.

٢ – تفسير ابن كثير، ٢/ ٧١٤٣، طبعة عيسى الحلبي.

٣ – فتح القدير للشوكاني في تفسير الآيات ٦٥ ـ ٦٧ من سورة المائدة، ٢/ ٥٩، ط. دار الفكر.

قد توجد بعض هذه الفرق، ثم يغلب الحق باطلها، فتنقرض ولاتعود أبدًا. وهذا ما حدث بالفعل لكثير من الفرق المنحرفة، فقد هلك بعضها، ولم يعد له وجود.

ثم إن الحديث يدل على أن هذه الفرق كلها جزء من أمته(ص) أعني أمة الإجابة المنسوبة إليه، بدليل قوله : «تفترق أمتي» ومعنى هذا أنها - برغم بدعتها - لم تخرج عن الملة، ولم تنفصل من جسم الأمة المسلمة، وهذا ما ذكره الإمام الخطابي في "معالم السنن"، قال : فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة من الدين، إذ قد جعلهم النبي (ص) كلهم من أمته. وفيه: أن المتأول لا يخرج من الملة، وإن أخطأ في تأوله[1] .

وكونها "في النار" لا يعني الخلود فيها كما يخلد الكفار، بل يدخلونها كما يدخلها عصاة الموحدين.

وقد يشفع لهم شفيع مطاع من الأنبياء أو الملائكة أو آحاد المؤمنين، وقد يكون لهم من الحسنات الماحية أو المحن والمصائب المكفرة، ما يدرأ عنهم العذاب.

وقد يعفو الله عنهم بفضله وكرمه، ولاسيما إذا كانوا قد بذلوا وسعهم في معرفة الحق، ولكنهم لم يوفقوا وأخطأوا الطريق، وقد وضع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه.

---

١ - معالم السنن ٧/ ٧، حديث (٤٤٢٩).

الاستغاثة الأندلسية

• الحديث عن الإنتاج الثقافي الأندلسي يثير في النفس الأسى على ضياع الأندلس. وهذا الأسى ليس على أرض فُقدت، أو دولة أُزيلت، بل على فرصة عظيمة قد ضاعت، فرصة اللقاء بين الحضارتين الأوربية والإسلامية. لعلّ كثيراً من المآسي التي حلّت بالعالم خلال القرون الأخيرة ما كانت لتحدث لو أن التفاعل الحضاري في الأندلس قد تواصل. على أي حال نفتح هذه الصفحة من ثقافة المسلمين في الأندلس، على أمل أن ينفتح حوار جاد بين العالم الإسلامي وأوربا عبر اسبانيا التي ترث هذه الثقافة نظريًا

شعر الاستغاثة هو ماقيل من شعر الأندلسيين يستغيثون به المسلمين في شمال أفريقيا وغيرها لإنقاذهم من هجوم الفرنج على مدنهم. وفي هذا الشعر من العِبَر والعظات ما يستحق الوقوف عنده، ***فهو يفتح ملفّ ضياع الأندلس، وأسباب هذا الضياع، ويصوّر ما حلّ بالمسلمين بسبب تفرقهم ونزاعاتهم. وهي حالة لم تعان منها الأندلس فحسب، بل عانى ولايزال يعاني منها عالمنا الإسلامي في أصقاع عديدة.***

ويمتاز بالعاطفة الصادقة، والمشاعر الملتهبة، والروح الإنسانية،

واستثارة مشاعر الأخوة الإسلامية. كما نجد فيه لوحات معبّرة عن المآسي التي حلّت بالأندلسيين جرّاء ما نزل بهم من قسوة وفظاظة.

ينقل المقّري عن صاحب مناهج الفكر بعد وصفه لجزيرة الأندلس وأقطارها ما نصّه:

«ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق، إلى أن طما بمُترفيها سيلُ العناد والنفاق، فامتاز كل رئيس منهم بصقع كان مسقَطَ رأسه، وجعله معقلاً يعتصم فيه من المخاوف بأفراسه، فصار كل منهم يشنّ الغارة على جاره، ويحاربه في عُقْر داره، إلى أن ضعفوا عن لقاء عدوّ في الدين يعادي، ويراوح معاقلهم بالعَيْث ويُغادي، حتى لم يبق في أيديهم منها إلا ما هو في ضمان هدنة مقدّرة، وإتاوة في كل عام على الكبير والصغير مُقَرّرة، كان ذلك في الكتاب مسطورًا، وقَدرًا في سابق علم الله مقدورًا».

ويذكر المقّري أيضا وقعة بطرنة (٤٥٦هـ) التي هجم فيها الفرنج بَلَنْسية في خُدعة مؤلمة. فقد أوحى العدوّ أنه نادم على قراره بغزو المدينة، وأنه لا يطمع فيها، فانهمك أهل بلنسية في اللهو والقصف، ثم هجم العدوّ عليها وقتل أهلها ونهب أموالها. يقول:

«وكانت قبلها (قبل الهجوم على طليلطة ٤٧٨ في حادثة مؤسفة أخرى) سنة ست وخمسين وأربعمائة، وذلك أنّ الفرنج –

خذلهم الله تعالى – انتدبت منهم قطعة كثيفة، ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة، وأهلُها جاهلون بالحرب، مغترّون بأمر الطعن والضرب، مُقبلون على اللّذات من الأكل والشُرب، وأظهر الفرنج الندم على منازلتها، والضعفَ عن مقاومة مَنْ فيها، وخَدَعوهم بذلك فانخدعوا، وأطمعوهم فطمعوا، وكمَّنوا في عدة أماكن جماعة من الفرسان، وخرج أهل البلد بثياب زينتهم، وخرج معهم أميرهم عبدالعزيز بن أبي عامر، فاستدرجهم العدو – لعنهم الله تعالى – ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر، وما نجا منهم إلا من حصَّنه أجلُه، وخلّص الأمير نفسَه».

ويتواصل الهجوم على المدن الأندلسية، وبشأن بلنسية يقول المقّري:

«ولم يزل أمر بَلَنْسية يضعُف باستيلاء العدوّ على أعمالها، إلى أن حصرها ملك بَرْشلونة النصراني، فاستغاث زيان بن أبي الحملات (القائد المسؤول المدافع عن بلنسية) بصاحب إفريقية (تونس) أبي زكريا ابن أبي حفْص، وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبَه الشهير أبا عبدالله ابن الأبّار القضاعي صاحب كتاب التكملة وإعتاب الكتّاب وغيرهما، فقام بين يدي السلطان منشدًا قصيدته السينية الفريدة التي فَضَحت من باراها، وكَبا دونَها من جاراها».

ومن أبيات هذه القصيدة:

أدركْ بخيلَكَ خيلِ الله أندلُسا ... إنّ السبيلَ إلى مَنجاتها دَرَسا

وَهَبْ لها من عزيزِ النصر ما التمستْ ... فلم يزل منك عزُّ النصر مُلْتَمسا

يا للجزيرة! أضحى أهلُها جُزُرًا ... للحادثاتِ، وأمسى جَدُّها تَعِسا

في كلِّ شارقة إلمامُ بارقةٍ ... يعود مأتمها عند العِدا عُرُسا

وفي بلنسيةٍ منها وشاطبةٍ ... ما ينسِفُ النَّفسَ أو ما يَنزِف النَفَسا

مدائنٌ حلّها الإشراكُ مبتسمًا ... جذلان، وارتحل الإيمان مُبتئسا

يا للمساجد عادتْ للعِدا بِيَعًا ... وللنِّداء غدا أثناءها جَرَسا

كانت حدائقَ للأحداق مونقةً ... فصوَّح النضرُ من أدواحها وعَسا

فأين عيشٌ جَنَيناه بها خَضِرًا؟ ... وأين عصرٌ جَلَيناه بها سَلِسا؟

مَحا محاسِنَها طاغٍ أُتيح لها ... ما نام عن هَضمِها حينًا ولا نعسا

صِلْ حبلَها، أيها المولى الرحيم، فما ... أبقى المراسُ لها حَبلا ولا مَرَسا

وأحْيِ ما طَمَست منها العداةُ كما ... أحييتَ من دعوةِ المهدي ما طَمَسا

أيّامَ صِرتَ لنصرِ الحقِّ مُستبقًا ... وبِتَّ من نور ذاك الهدي مُقْتبسا

وقُمتَ فيها بأمر الله منتصرًا ... كالصارمِ اهتزّ أو كالعارضِ انبجسا

هذي رسائلُها تدعوكَ من كَثَبٍ ... وأنت أفضلُ مرجوٍّ لمن يئسا

تؤمّ يحيى بن عبد الواحد بن أبي ... حفصٍ مقبِّلةً مِنْ تُربِهِ القُدُسا...

طهِّر بلادَك منهم، إنّهم نَجَسٌ ... ولا طهارةَ حتى تَغسِلَ النَّجسا

واضربْ لها موعدًا بالفتح ترقبه ... لعلّ يومَ الأعادي قد أتى وعسى

يقول: أسرع بإنقاذ الأندلس فإن الطريق إلى إنقاذها قد اندرس (انمحى). وأعطها نصرًا عزيزًا التمسته منك، فقد أصبح أهلها جزرًا (ذبائح) بسبب مانزل بها من حوادث، وأصبح جدّها (حظُّها)

تعسًا. في كل شارقة (طلوع الشمس) تلمّ (تنزل) بها بارقة (سيوف وقتل)، ويصبح مأتمها عُرسًا عند الأعداء. ويذكر الشاعر مدينتي بلنسية وشاطبة إذ حلّ فيهما ما يقتلع النفس وما يقطع الأنفاس. ففيهما دخل المشركون مبتهجين مسرورين وارتحل المؤمنون بائسين. ومن ينقذ المساجد التي أصبحت بِيَعًا (معابد للنصارى) وأصبح نداء الأذان فيها أجراسًا. كانت حدائق مونقة (جميلة) للأحداق (العيون)، فصوّح (زال) النضر (الجمال) من أدواحها (أشجارها) وعسا (جفّ). فأين العيش الذي تمتعنا به وهو خَضِر (يانع) وأين العصر الذي جعلناه فيها لينًا؟ لقد أزال الطاغي الذي أتاها محاسنَها، ولم يتوان عن هضمها (ظلمها). فيا أيها المولى الرحيم اجعلها من أهلك، فما أبقى لها مراس (قوة) العدوِّ حبلاً (ترتبط به مع الآخرين، بقيت وحدها) ولم يبق لها مَرَسا (قوة على القتال). وأحيِ ما محت منها الأعداء كما أحييت ما أنمحى من دعوة المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين، حين سابقتَ لنصرة الحقِّ واقتبست من نور ذلك الهدي، ونهضت بأمر الله منتصرًا مثل السيف المهتزّ، ومثل الغيم المطر الذي تدفّق بالمطر. فهذي رسائل أهل الأندلس تدعوك من قرب، وأنت أفضل المرجوّين لليائسين، وتتوجه (هذه الرسائل) إليك مقبّلة ترابك المقدس.

وبعد أن يثني على الممدوح ويصفه بالعزيمة والعدل والإحسان والمجد والنصرة يقول له في نهاية قصيدته: طهّر الأندلس من

هؤلاء المهاجمين فإنهم نجَسٌ ولا يمكن أن تتطهّر حتى تخلو من الأنجاس. واضرب لأهل الأندلس موعدًا تنتظره منك للفتح، فلعلّ يوم دحر الأعداء أتى وعسى أن يكون قد أتى.

* * *

ولأبي البقاء صالح بن شريف الرندي (ت ٦٨٤هـ) قصيدة مشهورة يستنصر فيها أهلَ العُدوة الأفريقيّة (التونسيين) من بني مرين، حينما تنازل سلطان غرناطة من بني الأحمر (محمد الغالب بن يوسف) للاسبان عن بعض المدن والقلاع استرضاء لهم وأملاً في أن يبقى على عرشِهِ المهزوز:

لكُلِّ شَيءٍ إذا ما تَمّ نقْصانُ ... فلا يُغَرَّ بطِيب العيش إنسانُ

هي الأمورُ كما شاهدْتَها دُوَلٌ؛ ... مَنْ سَرّه زَمَنٌ ساءتهُ أزمان

وهذِهِ الدارُ لا تُبْقي على أحَدٍ ... ولا يدومُ على حالٍ لها شان:

يُمَزِّقُ الدهرُ حَتْمًا كلَّ سابِغَةٍ ... إذا نَبَتْ مَشْرِفيّاتٌ وخُرصان؛

ويُنْتضَى كلُّ سيْفٍ للفناءْ، ولو ... كان ابنَ ذي يَزَنٍ والغِمْدُ غَمْدان

أينَ الملوكُ ذوو التيجانِ من يَمَنٍ، ... وأينَ منهم أكاليلٌ وتيجان؟

وأينَ ما شادَهُ شَدّادُ في إرَمٍ؟ ... واينَ ما ساسَهُ في الفُرْس ساسان؟

وأينَ ما حازه قارونُ من ذهبٍ؟ ... وأين عادٌ وشَدّادٌ وقَحْطان؟

أتى على الكلِّ أمرٌ لا مَرَدَّ له ... حتّى قَضوْا فكأنّ القومَ ماكانوا

وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلكِ ... كما حَكى عن خَيالِ الطَّيف وَسْنانُ

دارَ الزمانُ على دارا وقاتِلِه ... وأمّ كِسْرى فما آواهُ إيوان؛

كأنّما الصَّعْبُ لم يَسْهُلْ له سَبَبٌ، يومًا، ولم يَمْلِكِ الدُّنيا سُلَيمان

فَجائعُ الدهر أنواعٌ مُنَوَّعةٌ، وللزّمان مسَرَّاتٌ وأحْزان؛

وللحَوادِثِ سُلْوانٌ يَهُوّنُها؛ وما لِما حَلّ بالإسلام سُلْوان

دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عَزاءَ لها هَوَى له أُحدٌ وانهدّ ثَهْلان

أصابَها العينُ في الإسلام فارْتَزَأتْ حتّى خَلَتْ منه أقطارٌ وبُلْدان

فسألْ بَلَنْسِيَةً: ما شأن مُرْسِيَةٍ؟ وأين شاطبةٌ أم أين جَيّان؟

وأينَ قُرْطُبَةٌ دارُ العلومِ فكم من عالمٍ قد سما فيها له شان؟

وأينَ حِمْصٌ وما تَحْويه من نُزَهٍ ونْهرُها العذبُ فيّاضٌ ومِلآن؟

قواعِدٌ كُنَّ أركانَ البلادِ، فما عسى البقاءُ إذا لم تبقَ أركان؟

تَبْكي الحَنيفِيَّةُ البيضاءُ من أسَفٍ، كما بكى لفِراقِ الإلْف هَيْمان

على ديارٍ من الإسلام خالِيَةٍ؛ قد أقْفَرَتْ ولها بالكُفْرِ عُمْران

حيثُ المساجدُ قد صارَتْ كنائسَ ما فيهنَّ إلاّ نواقيسٌ وصُلْبان؛

حيثُ المحاريبُ تبكي وَهْيَ جامدةٌ حيثُ المنابرُ تَرْثي وهي عيدان

يا غافلاً، وله في الدهرِ موْعِظَةٌ، إن كُنْتَ في سِنَةٍ فالدهرُ يَقْظان؛

وماشيًا مرحًا يُلْهيهِ مَوْطِنُه أبعدَ حمصٍ تَغُرُّ المرء أوطان؟

تلكَ المُصيبةُ أنْستْ ما تَقَدَّمَها، وما لها مع طوال الدهر نِسْيان

يا أيّها المَلِكُ البيضاءُ رايَتُه، أدركْ بسَيْفِكَ أهلَ الكُفْرِ، لا كانوا

يا راكبينَ عِتاقَ الخيل ضامرةً كأنّها في مَجالِ السَّبْق عُقْبان

وحامِلينَ سيوفَ الهنْدِ مُرْهَفَةً كأنّها في ظلام النَّقْعِ نيران،

وراتعينَ وراءَ البحر في دَعَةٍ لَهُمُ بأوطانهم عِزّ وسُلْطان،

أعِنْـدَكم نَبَـأ مـن أهـلِ أنـدَلُسٍ؟ فقـدْ سَـرى بحـديثِ القـومِ رُكْبـان

كم يستغيثُ بنو المستَضعَفين، وهُمْ أسِـرى وقَتْلـى، فمـا يَهْتَـزّ إنسـان!

مـاذا التقـاطعُ في الإسـلام بَيْـنَكُمُ، وأنـتُمُ . يـا عبـادَ الله . إخـوان!

ألا نُفـوسٌ أبيّـاتٌ لهـا هِمَـمٌ! أمـا علـى الخـير أنصـارٌ وأعـوان!

يـا مَـنْ لِذِلّـةِ قَـوْمٍ، بعـد عِـزَّتِهِمْ، أحـالَ حـالَهُمُ كُفْـرٌ وطُغْيـان

بـالأمسِ كانوا مُلوكًا في منـازِلِهِمْ، واليـومَ هُـمْ في بِـلادِ الكُفـر عُبـدان

فَلَـوْ تـراهُمْ حَيـارى لا دليـلَ لهـم عَلَـيْهِمُ مِـنْ ثِيـابِ الـذُّلِّ ألـوان

ولـو رأيـتَ بُكـاهم عنـد بَـيْعِهِمُ لهالَـكَ الأمـرُ واسـتهوتْكَ أحـزان

يـا رُبَّ أمٍّ وطفـلٍ حيـلَ بَيْنَهمـا كمـا تُفَـرَّقُ أرواحٌ وأبـدان؛

وطفلَةٍ مثل حُسْن الشمس إذ بَـرَزَتْ، كأنّمـا هِـيَ يـاقوتٌ ومَرْجـان

يَقُودُهـا العِلْـجُ لِلمَكـروهِ مُكْرَهَـةً والعَـيْنُ باكِيَـةٌ والقَلْـبُ حيْـران

لِمِثْل هذا يَذُوب القلبُ مـن كَمَـدٍ، إنْ كـان في القلب إسلامٌ وإيمـان!

وهناك قصيدة من ١٤٤ بيتًا صاحبها مجهول تجمع بين رثاء الأندلس والاستغاثة بالمسلمين، بعد الاستيلاء على مدينة رُندة. وعبارتها ناصعة، وأسلوبها رصين، والعاطفة فيها حارّة، وروح الإيمان قويّة.

والملاحظ فيها أن الشاعر يبيّن في قصيدته أن ضياع الأندلس كان بسبب تضييع حقوق الله وعدم التمسك بأهداب الدين.

ومن أبياتها:

أحقًّا خَبَـا مـن جَـوِّ رُنـدةَ نُورُهـا وقد كُسفتْ بعدَ الشموسِ بُدورُها؟

وقــد أظلمــتْ أرجاؤهــا وتزَلْزَلــتْ ... مَنازِهُهــا ذاتُ العُــلا وقُصــورُها؟

أحقًّــا خليلــي أنَّ رُنــدةَ أقفــرتْ ... وأُزعِــجَ عنهــا أهلُهــا وعَشــيرُها؟

وهُــدَّتْ مَبانيهــا وثُلّــتْ عُروشُــها ... ودارتْ علــى قطــب التفــرُّق دُورُهــا؟

تســلّمَها حــزبُ الصــليب وقادَهــا ... وكانــت شَــرودًا لا يُقــادُ نَفُورُهــا

فبــادَ بهــا الإســلام حتــى تقطّعــتْ ... مناســبُها واستأصــلَ الحــقَّ زُورُهــا

وأصــبحت الصُّــلبان قــد عُبــدَتْ بهــا ... تماثيلُهــا دُون الإلــه وصــورُها

أحقًّــا أخلائــي القضــاءُ أبــادَكم ... ودارتْ علــيكم بالصــروف دهورُهــا؟

فواحسْــرَتَا كــم مــن مســاجدَ حُوِّلَــتْ ... وكــان إلى البيــت الحــرام شُــطورُها

فمحرابــُها يشكــو لمنبــرها الجَــوى ... وآياتُهــا تشكــو الفــراقَ وسُــورُها

وكــم طَفلــةً حســناءَ فيهــا مَصــونةً ... إذا سَــفَرتْ يســبي العقــولَ سُــفورُها

فأضــحتْ بأيــدي الكــافرين رهينــةً ... وقــد هُتِكــتْ بــالرغم منهــا ســتورُها

وقــد لَطمــتْ - واحَــرَّ قلبي - خُــدودَها ... وقــد أُسبِلَتْ - وَادَمْــع عيني - شعورُها

وإنْ تســتغثْ بــالله والــدين لا تُغَــثْ ... وإنْ تَســتْجر ذا رحمــةٍ لا يُجيرُهــا!

وقــد حيــل مــا بــين الشــفيق وبينهــا ... وأســلمها آباؤهــا وعشــيرُها

وكــم مــن صــغير حيــزَ مــن حجْــر أمِّــه ... فأكبادُهــا حَــرَّاءُ لَفْــحٌ هجيرُهــا!

وكــم مــن صــغير بــدَّلَ الــدهرُ دِينَــه ... وهــل يتبــع الشــيطانَ الاَّ صــغيرُها

كــروبٌ وأحــزانٌ يَلِــينْ لهــا الصَّــفَا ... عواقبُهــا محــذورةٌ وشُــرورُها

ويــا غُربــةَ الإســلام بــين خِلالهــا ... ويــا عَشْــرةً أنّــي يُقــال عُثورهــا؟

ويــا مِلّــةَ الإســلام هــل لــك عَــودةٌ ... لأرجائهــا يشــفي الصــدورَ صُــدورُها؟

وهــل تســمع الآذانُ صــوتَ الأذان في ... معالمهــا يعلــو بــذاك عَقيرُهــا؟

أضعْنا حقوقَ الربِّ حتى أضاعنا ... وقُضَّتْ عُرَى الإسلام الاَّ يسيرُها

وملّتُنا لم نَعرِف الدهرَ عُرْفَها ... من النُّكْرِ، فانظرْ كيف كان نكيرُها

بشقْوتنا الحذْلانُ صاحَبَ جَمْعَنا ... وبؤنَا بأحوال ذَميمٍ حُضورُها

بعصْيَانِنا استولَى علينا عَدُوُّنا ... وعَاثتْ بنا أُسْدُ العِدا ونُمورُها

معاشرَ أهلِ الدين هُبُّوا لصعْقةٍ ... وصاعقة وَارَى الجسومَ ظُهورُها

أصابتْ مَنارَ الدِّين فانْهَدَّ ركْنُه ... وزعزعَ من أكنافهِ مستطيرُها

ودَبّتْ أفاعيها إلى كلِّ مؤمنٍ ... وعَضَّ بأكباد التُّقاة عَقُورُها

أنادي لها عُجْمَ الرجال وعُرْبَها ... نداءَ سُراةِ القَفْر إذْ ضلَّ عيرُها

ألاَ وارجعوا يا آلَ دينِ محمدٍ ... إلى الله يغفر ما اجترحتم غفورُها

ومن كلِّ ما يُردِي النفوسَ تطهّروًا ... فليس يُزَكِّي النفس إلاَّ طُهورُها

ألاَ واستعدوا للجهاد عزائمًا ... يلوحُ على ليل الوغي مستطيرُها

بأُسْدٍ على جُرْدٍ من الخيل سُبَّقٍ ... يَدُعُّ الأعادي سبْقُها وزئيرُها

بأنفسِ صدق مؤقناتٍ بأنها ... إلى الله من تحت السيوف مَصيرُها

يَمينُ هُدًى إنْ تتقوا الله تُنَصروا ... وتحْظَوا بآمالٍ يَشوقُ غريرُها

فلا يخذلُ الربُّ المهَيْمن أمّةً ... تُدينُ بدين الحقِّ وهْوَ نصيرُها

وإن أنتمُ لم تفعلوا فترَقّبُوا ... بوادرَ سُخط ليس يُرجَى فُتورُها

وأيامَ ذُلٍّ واهتضامٍ وفُرْقةٍ ... يطاول آناءَ الزمان قصيرُها

إلهَ الورى ندعوكَ يا خيرَ مُرتجًى ... لكالحةٍ هَزَّ الصليبَ سرورُها

وليس لها يا كاشفَ الكَرْب مَلجأ ... إذا لم يكن منك التلافي ظهيرُها

الأخلاق أعظم ساحة للتقريب

القسم الأول : معنى الذنب

سيد هاشم الرسولي المحلاتي[1]

• الأخلاق هدف الإسلام الكبير: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وهو الساحة الكبيرة الهامة التي يحتاج إليها المسلمون أيّما احتياج، وهو الساحة التي تجمع المذاهب الإسلامية على صعيدها، وتوحّد بين قلوبهم وأعمالهم وتوجههم إلى مثلهم الأعلى المطلق الكبير، وهو الله سبحانه. ونبدأ في هذا العدد بنشر سلسلة مقالات أخلاقية في مجال (الذنب) أي في مجال السقوط في مطبّات طريق الإنسان في الحياة، وسبل الخروج من هذا السقوط.

الذنب في اللغة هو الإثم والجرم والمعصية. وفي الشريعة الإسلامية هو ارتكاب فعل منهيّ عنه، أو ترك فعل مأمور به. وإذا كان الشارع المقدس قد وضع لهذا الذنب عقابًا دنيويًا، فهذا الذنب هو (جناية) يستحق مرتكبها العقاب والقصاص.

أما كلمة (الجريمة) فقد عرفها بعض الفقهاء بأنها مرادفة لكلمة (الذنب)، أي أنها كل المحظورات الشرعية سواء استوجبت عقابًا دنيويًا أم لم تستوجب. وعرفها آخرون بأنها المحظورات التي زجر الله عنها بحد أو تعزير.

---

* - عالم دين إيراني.

والقانون الوضعي قسّم الذنب حسب شدته إلى جناية، وجنحة، ومخالفة، وهو يعرّف الذنب بأنه خروج عن دائرة القوانين والمقررات الموضوعة لحفظ مصلحة الجماعة، وصيانة نظامها، وضمان بقائها.

وعبارة الخروج عن دائرة القوانين، نجد لها ما يشابهها في التعبير القرآني. فالقرآن أطلق على هذا الخروج اسم «تعدّي حدود الله».

والشريعة تتفق مع القانون الوضعي في أن الغرض من تقرير الجرائم والعقاب عليها هو حفظ مصالح الجماعة، وبقاؤها، وعلى الرغم من هذا الاتفاق هناك فروق نعرضها فيما يلي:

الفرق الأول

الجريمة في القانون الوضعي تطلق على الأعمال المحظورة التي تسيء إلى مصالح المجتمع بشكل مباشر كالسرقة والقتل، أما الجريمة في التشريع الإسلامي فتشمل كل الأعمال التي تسيء إلى مصالح المجتمع بشكل مباشر أو غير مباشر، فالرذائل الخلقية التي يمارسها الإنسان لوحده، أو يضمرها في داخل نفسه، هي ذنوب أو جرائم في رأي الشريعة الإسلامية، لأنها تحط من قيمة الإنسان وشرفه وكرامته، وبالتالي تؤدي إلى انهدام المجتمع الإنساني بشكل غير مباشر.

ثمة ذنوب تنخر في جذور المجتمعات البشرية وتهدد وجودها مثل الكذب والغيبة والتهمة والافتراء والغضب والحسد والرياء والحرص والتكبر والحقد،غير أنّ القانون الوضعي لا يعتبرها ذنوبًا ولم يضع لها عقوبة، بل لا تستطيع يد القانون الوضعي أن تمتد إلى مثل هذه الذنوب، بينما يتسع نطاق التشريع ليشمل كل ما تنطوي عليه النفس الإنسانية وكل ما يصدر عن الإنسان في خلواته.

على سبيل المثال نرى الشريعة تقف موقفًا صارمًا من الكذب، عن الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) :

«ان الله عزوجل جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب».

وعن الإمام الحسن بن علي العسكري (عليه السلام):

«حطّت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب».

وروي أن رجلا جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال له:

«يا رسول الله دُلَّني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى». فقال: «لا تكذب»: فكان ذلك سببًا لاجتنابه كل معصية لله لأنه لم يقصد وجهًا من وجوه المعاصي إلا وجد فيه كذبًا أو ما يدعو إلى الكذب فزالت عنه تلك المعصية.

علماء الاجتماع والنفس اليوم يتحدثون عن أخطار الكذب وارتباطه بازدواج الشخصية الإنسانية، وآثاره السيئة على الفرد

والمجتمع، لكن علماء القانون الوضعي لا يستطيعون القضاء على هذه الظاهرة الخطرة في المجتمع.

وبشأن الحرص والحسد والتكبر يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام).

«أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد، فأما الحرص فان آدم (عليه السلام) حين نهي عن الشجرة حمله الحرص على أن يأكل منها، وأما الاستكبار فإبليس حيث أمر بالسجود لآدم فأبى، وأما الحسد فابنا آدم حيث قتل أحدهما صاحبه».

وحول الغضب يقول (عليه السلام):

«الغضب مفتاح كل شر»

وهذه الأمراض النفسية تعصف اليوم بالمجتمعات البشرية وتهددها بالإبادة والفناء، وتثير هنا وهناك الفتن والحروب الطاحنة والمجازر الدموية، كما أنها تؤدي إلى انتشار أنواع الأمراض النفسية والعقلية. وتنشر الدوائر العلمية والاجتماعية التحقيقات تلو التحقيقات عن هذه الانحرافات النفسية، ونتائجها، غير أن المسؤولين عاجزن عن استئصال جذور هذه الانحرافات والجرائم التي أخذت تزداد بازدياد بُعد المجتمعات عن سلطة الدين وهيمنة الشريعة.

الفرق الثاني

الشريعة الإسلامية لا تضع العقوبات المترتبة على الجرائم المختلفة فحسب، بل تسعى إلى استئصال الجريمة من الفكر والروح، وتقضي على استفحال روح ارتكاب الجريمة من المحتوى الداخلي للإنسان . بينما لا تستطيع القوانين الوضعية أكثر من تعيين العقوبات للمذنبين.

الإسلام يردع الإنسان عن التفكير بارتكاب الذنب، كي لا ينضج هذا التفكير في الذهن، ويتحول بعد ذلك إلى واقع عملي.

يقول أمير المؤمنين علي(ع):

«من كثر فكره في المعاصي دعته إليها».

يتجه الإسلام، بشكل عام، إلى تربية الإنسان فكرًا وروحًا، وإبعاده عن كل ما يعكّر صفو نفسه ويخلق العقد في وجوده. لذلك فهو يدعو أولا وقبل كل شيء إلى الإيمان حيث به تتحقق القاعدة التربوية اللازمة للعمل الصالح، ولذلك نجد القرآن يذكر العمل الصالح دائمًا بعد الإيمان:

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات...﴾.

البحوث الاجتماعية تؤيد اليوم ضرورة قيام القوانين على قاعدة إيمانية ثابتة في نفوس أفراد المجتمع، والاّ فلا يمكن ان تخلق في نفوس الأفراد اندفاعًا ذاتيًا للالتزام بها، بل إن الالتزام بقوانين لا تقوم على قاعدة إيمانية، سوف يبقى دائمًا التزامًا

مؤقتًا مفروضًا، لا يقوى على البقاء أمام الاندفاعات الحيوانية في نفس الإنسان.

الإسلام ركز على تربية ما يدور في نفس الإنسان من خواطر ونوايا وأهداف، كي يخلق في النفس الإنسانية الإخلاص اللازم للعمل المخلص. يقول سبحانه: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فالإرادة ، مجرد الإرادة، للعلو والفساد محظورة في الإسلام.

والإمام زين العابدين علي بن الحسين(ع) يقول مشددًا على أهمية النية الصادقة:

«لا عمل إلا بنية»

وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع).

«إن الله يحشر الناس على نياتهم يوم القيامة».

وعن رسول الله (ص): «نية المرء خير من عمله، ونية الفاجر شر من عمله وكلّ عامل يعمل بنيته».

وعنه (عليه أفضل الصلاة والسلام):

«إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى».

ولماذا هذا الاهتمام من الإسلام بالنوايا ؟، ولماذا يجعل الإسلام النية أهم من العمل نفسه؟ تجيب على ذلك رواية عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع):

«عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبدالله(ع): إني سمعتك

تقول: نية المؤمن خير من عمله، فكيف تكون النية خيراً من العمل؟ قال: لأن العمل ربما يكون رياء للمخلوقين، والنية خالصة لرب العالمين، فيعطي الله عزوجل على النية ما لا يعطي على العمل».

وبشأن النوايا الشريرة، روي عنه أيضًا:

«إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبدًا، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لان نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله ابدًا، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا: ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال: على نيته».

روايات في أهمية النية

روي عن رسول الله(ص) أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل في النار، وكذا المقتول، لأنه أراد قتل صاحبه».

وعن الصادق(ع): «إن المؤمن لينوي الذنب فيحرم الرزق».

وفي رواية أن عيسى المسيح(ع) أوصى أتباعه قائلا: «إن موسى أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدثوا أنفسكم بالزنا فضلا عن أن تزنوا، فإن من حدّث نفسه بالزنا كمن أوقد في بيت مزوّق، فأفسد التزاويقَ الدخانُ وان لم يحترق البيت».

وفي الروايات المنقولة بشأن المعاصرين لرسول الله(ص) نلاحظ

بوضوح أهمية النية والقصد في تعيين منزلة الأفراد، من ذلك:

١ – روى عاصم بن قتادة أن رجلا من أهل المدينة يسمى «قزمان» لم يكن معروف النسب، كان كلما ذكر اسمه عند رسول الله(ص) قال عنه: إنه لمن أهل النار.

فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً،حتى قتل بضعة نفر من المشركين. فكثرت جراحه، فحمل إلى خارج ساحة المعركة، فقال له رجل من المسلمين:

أبشر يا قزمان، فقد أبليت اليوم، وقد أصابك، ما ترى في الله.

قال قزمان: بماذا أبشر؟! فو الله ما قاتلت إلا حمية عن قومي!!

فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهماً من كنانته فقطع شريان يده ومات منتحراً!!

٢ –في غزوة تبوك تحمّل المسلمون ألوان العسر والمشقة بسبب شدة الحرّ وقلة المؤنة حتى همّ قوم بالرجوع، ثم تداركهم لطف الله تعالى، قيل إنه إذا بلغ الجوع من أحدهم، في تلك الغزوة، أخذ التمرة فلاكها حتى يحس بطعمها، ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء، وهكذا حتى يأتي عليها آخرهم فلا يبقى منها إلا النواة!

في تلك الغزوة الشاقة قال رسول الله(ص) لأصحابه «إن بالمدينة أقواماً ما قطعنا وادياً ولا وطأنا موطئاً يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة إلا شاركونا في ذلك وهم في المدينة».

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله، وليسوا معنا؟!

فقال: «حسبهم العذر، فشاركونا بحسن النية».

٣ - في الخبر، أن رجلا من المسلمين قُتل في إحدى الغزوات بأيدي بعض الكفار، وكان يدعى بين المسلمين «قتيل الحمار»، لأنه قاتل رجلا من الكافرين نية ان يأخذ حماره وسلبه، فقتل على ذلك فأضيف إلى نيته.

٤ -بعد استشهاد الحسين بن علي(عليهما السلام) في كربلاء، ووصول خبر شهادته إلى المدينة، همّ الصحابي الجليل جابرين عبدالله الأنصاري بزيارة قبر الحسين، ووصل إلى كربلاء بعد أربعين يومًا من مقتل سيد الشهداء، وهو آنذاك شيخ ضرير، ووصل إلى القبر ومعه عطية بن سعد بن جنادة الكوفي، وهو من العلماء والمفسرين. فوقع جابر على القبر، وأُغمي عليه، ثم أفاق، فندب الحسين ورثاه ثم قال:

«السلام عليكم أيتها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله، وأشهد أنكم أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين، والذي بعث محمدًا بالحق نبيًا لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه».

فسأله عطية متعجبًا: وكيف نكون قد شاركناهم ولم نساهم معهم في قتال؟ قال جابر:

«يا عطية سمعت حبيبي رسول الله(ص) يقول: من أحب قومًا حُشِر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمدًا بالحق نبيًا ان نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين(ع) وأصحابه».

نية السوء والذنب

اعتبر الإسلام النية السيئة ذنبًا، حتى ولو لم تخرج إلى حيز العمل، لذلك كان الراضي بالوضع الاجتماعي السيء، مسيئًا أيضًا، وان لم يشارك عمليًا.

روي عن علي(ع) قال:

«إنما يجمع الناس الرضا والسخط، فمن رضي أمرًا فقد دخل فيه، ومن سخطه فقد خرج منه».

وقال أيضا:

«الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان: إثم العمل به، وإثم الرضا به».

ويردّد أتباع مدرسة آل البيت(ع) في زيارتهم مرقد أبي عبدالله الحسين(ع).

«.. فلعن الله أمة قتلتك، ولعن الله أمة ظلمتك، ولعن الله أمة سمعت بذلك فرضيت به».

من هنا فإن حبّ إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، هذا الحب فقط ذنب كبير، وَعَد الله فاعله بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال

سبحانه:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.

وقفة عند «قصد السيئة»

ذكرنا ان الإسلام في عمليته التربوية يتغلغل إلى أعماق النفس الإنسانية فيستأصل منها جذور الانحراف، ولذلك يحظر حتى الاتجاه نحو الذنب في النية، ويعتبر النية السيئة، وقصد السيئة، ذنبًا حتى ولو لم يخرج إلى نطاق العمل.

وهنا يثار اعتراض بهذا الشأن، فثمة روايات تعتبر الذنب ما قام به صاحبه عمليًا، لا مانواه وهمّ بفعله، كقول الإمام (ع):

«إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له عشرًا، ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه سيئة، ومن همّ بها وعملها كتبت عليه سيئة».

هذه المسألة درسها كبار العلماء من أمثال المرتضى والشيخ البهائي والمحقق الطوسي، وأجابوا عنها، ويظهر من مجموع النصوص الإسلامية بهذا الشأن أن العزم على الذنب والرضا به ذنب أيضًا من الناحية الخلقية التي نحن بصددها، أما من الناحية الفقهية فللفقهاء آراء متعددة هي باختصار:

١ – النية الجادة التي يتبعها عزم على ارتكاب الذنب ثم فعله هي النية المحرمة، أما التي تخطر في الذهن من غير إرادة أحيانًا

فليست من الذنوب. اختار ذلك العلامة الحلي في شرح التجريد.

٢ -لا شك أن مثل هذه النية، ذنب، ولكن يستفاد من هذه الرواية أن هذا الذنب مغتفر. ذهب إلى ذلك الشيخ البهائي.

٣ -إن قصد الذنب ذنب، إلا أنه لا عقوبة عليه.

٤ -المقصود بالحديث أن يهمّ الإنسان بذنب ولكنه يتراجع عن نيته ويندم على ما عقد العزم عليه، اختار هذا الشيخ الأنصاري في «الفرائد».

الفرق الثالث

القوانين الوضعية تحدّد للجرائم المختلفة عقوبات معينة محدودة كالسجن أو الغرامة وأمثالهما، بينما الإسلام يجعل عاقبة الجريمة خسران الدنيا والآخرة، إن لم تتبعها توبة صادقة، أي إن لم يكف المجرم عن سيئاته كفًا تامًا.

الإسلام يرى أن أعمال البشر مترابطة مع بعضها كل الارتباط، فالسيئة تؤثر على سلوك الإنسان، واستمرار السيئات يؤدي إلى انغماس الفرد في مستنقع الرذيلة، حتى يصل إلى درجة لا يستطيع معها أن يتخلص مما أحيط به من جو فاسد. كما أن الفساد له مردود اجتماعي أيضًا. وهكذا ينظر الإسلام إلى الجريمة باعتبارها عملا ذا تأثيرات بعيدة على حياة الفرد الدنيوية والأخروية وعلى حياة الجماعة أيضا.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾.

ويقول أيضا: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.

ويقول: ﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وتجمع النصوص الإسلامية بين عقاب الدنيا والآخرة، ففي القرآن الكريم يقول سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ويقول تعالى: ﴿لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وفي الحديث أيضًا نرى مثل هذا الجمع بين الدنيا والآخرة، وسنعرض ذلك في فصول قادمة، ونكتفي هنا بنقل حديثين، الأول عن الزنا والآخر عن الكذب.

قال رسول الله (ص):

«يا معشر المسلمين إياكم والزنا، فان فيه ست خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما التي في الدنيا فإنه يذهب بالبهاء ويورث الفقر وينقص العمر، وأما التي في الآخرة فإنه يوجب سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار».

وعن أمير المؤمنين علي (ع): «ثمرة الكذب المهانة في الدنيا والعذاب في الآخرة».

هذا الربط بن عمل الإنسان وبين حياته الدنيوية والأخروية –

إضافة إلى انه يكشف حقيقة من الحقائق العملية والإيمانية – فإنه يشكل عنصر الضمان لتطبيق الشريعة ولصيانة الإنسان على الطريق السوي المستقيم، ويشكل الدعامة التي تحفظ الفرد من الانزلاق والانجراف أمام تيارات الفساد وعواصف الشهوات. كما أن هذا الارتباط يقوّي عنصر الرقابة غير المنظورة على الفرد، فيحس الإنسان بكرامته ومسؤوليتة حتى في لحظات خلوته.

على سبيل المثال، إن ما يشجع السارق على سرقته عاملان:

الأول: عدم إحساسه بالرقابة غير المنظورة في حياته، أي شعوره بإمكان الفرار من وجه العدالة والحصول على الغنيمة الباردة دون عقاب.

الثاني: استهانته بالعقاب، إن امتدت إليه يد القانون، فلا أهمية في نظره للفترة المحدودة التي سيقضيها في السجن، يأكل خلالها وينام ولا ينغّص حياته شيء.

وفي الإطار الإسلامي لا يستطيع فرد أن يفكر كذلك، فالإسلام يربّي عند الأفراد الشعور بالرقابة الإلهية التي تتابع كل حركات الإنسان وسكناته. كما أنه يجعل العقاب شديداً في الدنيا (قطع اليد أمام الملأ من الناس)، وعذاب الآخر أشد وأنكى.

مما تقدم نفهم دور الإيمان بالآخرة وبيوم الحساب في صد الإنسان عن ارتكاب الذنب. وإليك بعض القصص في هذا المجال:

١ – روى ابن الجوزي في (المدهش) عن أحد الصلحاء أنه رأى في مصر حداداً يضع الحديدة في الكورة، ثم يخرج الحديدة الحارة

المحمرة بيده دون أن تحترق. قال: أدهشني المنظر، فما تمالكت نفسي إلا أن سألته عن سرّ هذه الظاهرة، وألححت عليه في السؤال، فقال: يا هذا إن لذلك قصة، وحدثني بقصته فقال:

جاءت امرأة في غاية الجمال إلى دكاني يومًا، وطلبت مني مالاً أنفقه عليها في سبيل الله.

قلت لها - وقد حيرني جمالها - سأعطيك ما أردت اذا جئت معي إلى البيت وقضيت منك وطري.

ارتعدت فرائص المرأة حين سمعت قولي وقالت: والله لست أنا ممن يفعل ذلك، ثم صرفت وجهها وذهبت.

بعد هنيهة عادت وقالت: دفعتني الحاجة لأن أعود إليك، فنهضت من مكاني وأقفلت الدكان واخذتها إلى البيت.

وفي البيت قالت لي: يا هذا إن لي أطفالا صغارًا يتضورون جوعًا في البيت وينتظرون قدومي بفارغ الصبر، فلو أعطيتني شيئًا أذهب به إليهم ثم أعود إليك. بعد أن أخذت منها المواثيق، أعطيتها بعض الدارهم، فذهبت وعادت بعد ساعة، فنهضت وأغلقت باب الدار ووضعت عليه قفلا.

قالت: لم تفعل ذلك؟

قالت: خوفًا من الناس.

قالت: ألا تخاف الله؟

قلت: الله غفور رحيم.

وما إن ذكرت اسم الله أمامها حتى وجدتها ترتجف كغصن

شجرة ندي أمام الرياح العاتية، سألتها عن السبب، قالت: أخاف من الله، ثم قالت: يا رجل أطلق سراحي في سبيل الله وأضمن لك النجاة من حرّ النار في الدنيا والآخرة.

وما ان شاهدت وضعها وسمعت كلامها حتى تغيّر حالي وأخذت ما عندي من مال فأعطيتها إياه وقلت لها: اذهبي في سبيل الله.

كنت بعد ذهاب المرأة في حالة خاصة لا يمكن وصفها. جلست أتأمل فيما مرّ بي من حوادث سريعة فاستولى عليّ النوم، فرأيت فيما يرى النائم أن امرأة موقورة جاءت إلى وعلى رأسها تاج من ياقوت وقالت:

يا هذا جزاك الله عنا خيرًا!

قلت: ومن أنت؟

قالت: انا تلك المرأة التي أطلقت سراحها في سبيل الله.. لا أحرقك الله بالنار، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

سألتها عن نسبها، قالت: أنا من ذرية رسول الله(ص).

استيقظت من النوم، فشكرت الله على ما أنعم عليّ من قدرة على ضبط النفس ورحت أردّد قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ولم تحرقني النار بعدها أبدًا. وأرجو لله أن يقيني نار الآخرة.

قاطع الطريق

عن علي بن الحسين(ع): «إنّ رجلاً ركب البحر بأهله، فكسر

بهم ، فلم ينج ممن كان في السفينة الا امرأة الرجل، فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجئت إلى جزيرة من جزائر البحر.

وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق، ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها، فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه، فرفع رأسه إليها فقال: إنسية أم جنية؟ فقالت: إنسية. فلم يكّلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله. فلما أن همّ بها اضطربت، فقال لها مالك تضطربين؟ قالت: أفرق (أخاف) من هذا! وأومأت بيدها إلى السماء. قال: فَصَنَعتِ من هذا شيئًا؟ (هل سبق لك أن زنيت؟) قالت: لا وعزته. قال: فأنت تفرقين منه هذا الفرق ولم تصنعي من هذا شيئًا وإنما استكرهك استكراهًا، فأنا والله أولى بهذا الفَرَق والخوف وأحق منك.

فقام ولم يحدث شيئًا، ورجع إلى أهله وليس له همّ إلا التوبة والمراجعة، فبينا هو يمشي اذ صادفه راهب يمشي في الطريق فحميت عليهما الشمس، فقال الراهب للشاب: أدع الله يظلّنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربي حسنة فأتجاسر على أن أساله شيئًا. قال: فأدعو أنا وتؤمّن أنت؟ قال: نعم. فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمّن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها مليّا من النهار، ثم تفرقت الجادة جادتين. فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة، فاذا السحابة مع الشاب!

فقال الراهب: أنت خير مني، لك استُجيب ولم يُستجب لي،

فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة، فقال: غفر لك ما مضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون فيما تستقبل».

خلاصة القسم الاول:

١ – الذنب مخالفة القانون والتمرد عليه.

٢ -الشريعة الإسلامية لا تعالج الذنوب التي تسيء إلى المجتمع بشكل مباشر فحسب – كما هو شأن القوانين الوضعية – بل تعالج الذنوب الناتجة عن انحرافات النفس الإنسانية، والتي تؤدي بالتالي إلى تحطيم كرامة الإنسان وانهدام المجتمع الإنساني.

٣ -الإسلام يستأصل جذور الجريمة من الفكر والنوايا والعزائم.

٤ -ثمة أفراد شاركوا في أقدس المعارك الإسلامية، لكنهم لم ينالوا – بسبب نيتهم – درجة الشهادة. بينما نرى آخرين شاركوا المجاهدين ثوابهم وهم لم يشتركوا –لعذر – في المعركة، بسبب نيتهم أيضًا.

٥ -النصوص الإسلامية اعتبرت الراضين بأفعال الظالمين أو بأفعال الصالحين مشاركين لهم في أفعالهم.

٦ -الإسلام سعى لتقوية روح الإيمان بالآخرة في النفوس، وهذا الإيمان يشكل عنصر الردع عن ارتكاب الذنب، ويقوّي عنصر الرقابة الغيبية على أعمال الأفراد.

مفهوم الشخصية

إبراهيم يحيى الشهابي*

• الإسلام نقل العرب من كونهم قبائل وعشائر، ومن نطاقهم الإقليمي إلى الأممية والإنسانية، فانتفت العصبية القبلية والنزعة العربية القومية والفروق الطبقية، وربطت هذه الشخصية الناس جميعًا برباط الأخوة الإنسانية التي يوثقها الفكر الأيديولوجي، وفتحت الباب أمام التفاعل بين الشخصيات الحضارية الأخرى في الدنيا، مؤكدة على التعددية واحترام الآخر، وعلى أن تكون العلاقة بين الشعوب والأمم والحضارات علاقة تفاعل وتكامل وليست علاقة صراع وتنازع

الشخصية نوعان: شخصية فردية وشخصية حضارية. أما الشخصية الفردية فتتكون من المنظومة الفكرية لهذا الفرد ونظرته إلى الحياة، والسلوك الناجم عن تفاعل هذه المنظومة الفكرية والنظرة إلى الحياة مع بيئة هذا الفرد. ويمكننا القول إن فلانًا يتمتع بشخصية متناسقة عندما يتطابق سلوكه مع منظومته الفكرية ونظرته إلى الحياة، سواء كان ذلك متفقًا مع المنهج المجتمعي الذي يعيش فيه وتقاليده أو مناقضًا له. ونَصِفُ شخصية الفرد بأنها متوازنة وسليمة وإيجابية عندما يكون تفاعل

* - أستاذ و باحث فلسطيني.

منظومته الفكرية ونظرته للكون والحياة، وسلوكه المنبثق عن هذا التفاعل مع بيئته التي يعيش فيها إيجابيًا وبناء. ويمكننا القول إن شخصية فلان من الناس متناقضة وسقيمة إذا كان سلوكه متناقضًا مع منظومته الفكرية ونظرته إلى الحياة والكون، ويكون ذا شخصية غير متوازنة إذا كان تفاعل مكونات شخصيته مع البيئة التي يعيش فيها سلبيًا وهدامًا. وربما نَصِفُه عندئذ بأنه مصاب بانفصام الشخصية.

وأما الشخصية الحضارية فهي الشخصية الجماعية التي تتمتع بها مجموعة بشرية متمايزة عن غيرها كتمايز الأفراد بعضهم عن بعض. فكما أن لكل فرد شخصيته التي تميزه عن سواه، كذلك لكل مجموعة بشرية شخصيتها التي تميزها عن سواها. وتتشكل الشخصية الجماعية الحضارية من تفاعل الفكر الأيديولوجي (الذي يفسر وجود الكون) والذي تتبناه هذه المجموعة البشرية أو تلك مع ثقافتها ولغتها وانبثاق نظام حياتي متكامل عن ذلك التفاعل . وما الحضارة (سواء كانت متقدمة أو متخلّفة أو غير ذلك من الصفات) إلا نتاج لهذا التفاعل. وتكون شخصية الأمة (وأعني بالأمة هنا المجموعة البشرية المتميزة عن سواها لغة وثقافة ومنهج حياة) متزنة متكاملة ومتقدمة إذا كان تفاعل فكرها الأيديولوجي مع ثقافتها ولغتها إيجابيًا وبناء. وتكون شخصيتها غير متزنة ومتخلفة وغير متكاملة إذا كان هذا التفاعل سلبيًا وهدامًا. ولا يكون للأمة شخصية حضارية إذا لم

يكن لها فكر أيديولوجي، ولا تكون عندئذ سوى مجموعة بشرية تدور في فلك شخصية حضارية ما، أو تنصهر فيما بعد في شخصية من الشخصيات الحضارية الأخرى.

إن الفكر الأيديولوجي يختلف عن الدين، لأن الدين يقوم فقط على المفهوم الذي يفسر وجود الكون. أما الفكر الأيديولوجي فهو ذلك الذي يفسر وجود الكون ويتفاعل مع ثقافة مجموعة بشرية ما ولغتها، وينبثق عن هذا التفاعل نظام حياتي متكامل. وبالتالي نجد أن هناك أفكارًا أيديولوجية ثلاثة أقدمها الإسلام ثم الرأسمالية ثم الشيوعية. أما اليهودية والمسيحية والبوذية والزرادشتية وغيرها ما هي إلا أديان فقط سواء كانت سماوية أو فلسفية أرضية. كما أن الشخصية الحضارية تختلف عن القومية لأن القومية تقوم على العرق واللغة كالقومية الألمانية والقومية الروسية والقومية الإنكليزية والقومية العربية والقومية الفارسية والقومية الأمريكية التي أخذت تتشكل حديثًا وغيرها من القوميات الكثيرة في هذا العالم. وتتصف القوميات عمومًا بالشوفينية والعنصرية والانغلاق والنزعة إلى الهيمنة على الآخرين. أما الشخصية الحضارية كما بينا معالمها فهي لبناء حضارة إنسانية يسودها الحب والأمن والسلام والتقدم العلمي.

ونضرب مثالا على ذلك الشخصية الحضارية العربية التي تكونت من تفاعل الفكر الإسلامي الأيديولوجي مع الثقافة

العربية ولسانها الذي عبر عن هذا التفاعل. ولحكمة أرادها الله، لا نعلمها، جعل الثقافة العربية ولسانها المكون الثاني لهذه الشخصية الحضارية، فقد ورد في القرآن الكريم الآيات التالية التي تؤكد ذلك:

١ . ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف/٢)

٢. ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء/ ١٩٣ – ١٩٥).

٣. ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ﴾ (الرعد/ ٣٧).

٤. ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ (طه/ ١١٣).

٥. ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (النحل/ ١٠٣).

٦. ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر/ ٢٨).

٧. ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت/٣).

٨. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى/ ٧)

٩. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف/ ٣)

١٠. ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (الأحقاف/ ١٢)

لهذا أطلقتُ على هذه الشخصية الحضارية صفة العربية، ونقلت هذه الشخصية العرب من كونهم قبائل وعشائر، ومن نطاقهم الإقليمي إلى الأممية والإنسانية، فانتفت العصبية القبلية والنزعة العربية القومية والفروق الطبقية، وربطت هذه الشخصية الناس جميعًا برباط الأخوة الإنسانية التي يوثقها الفكر الأيديولوجي، وفتحت الباب أمام التفاعل بين الشخصيات الحضارية الأخرى في الدنيا، مؤكدة على التعددية واحترام الآخر، وعلى أن تكون العلاقة بين الشعوب والأمم والحضارات علاقة تفاعل وتكامل وليست علاقة صراع وتنازع. قال تعالى في كتابه العزيز:

١ . ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود/١١٨)

٢ . ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس/ ٩٩)

إن هذه الشخصية ترسم، انسجامًا مع طبيعتها، نهجًا لبناء حضارة إنسانية يقوم على التفاعل والتكامل واحترام الآخر والاعتراف به، وعلى تحقيق التوازن بين الجماعات والأفراد، وبين

المجتمعات البشرية المتمايزة على أساس العدل والمساواة وعدم الاستغلال، وعدم إهمال ميزات الشخصيات الحضارية الأخرى وخصائصها ولا أية مجموعة بشرية سواء كان لها شخصية حضارية أم لم يكن. ويؤكد هذه الحقيقة قول الله عز وجل في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات/ ١٣)

وختامًا أستطيع القول إن من كان فكره الأيديولوجي الإسلام ولغته الأم العربية يعدّ من أبناء الشخصية العربية سواء كان عربيا أم غير عربي. كما أن الذين يتبنون الإسلام فكرًا أيدلوجيًا ويتكلمون لغة غير العربية فهم يلتقون مع الشخصية العربية في أحد مكونيها، وبالتالي تكون تلك الشخصية توأمًا للشخصية العربية تحمل أسماء أخر تمامًا كالتوأم الفرد الذي يحمل أسماء غير اسم توأمه الآخر، ومع ذلك فهما أخوان من رحم واحدة وصلب واحد، ولو حمل جنسية غير جنسية توأمه. وعندما تنتشر لغة القرآن الكريم بين هذه التوائم يزداد تلاحمها واندماجها في إطار هوية حضارية واحدة لافضل فيها لأحد على الآخر إلا بالتقوى.

ابن العميد

عبداللطيف عمران*

• كان كبار المثقفين يتقنون العربية والفارسية • ابن العميد قصده الناس ومدحه الشعراء• كان ابن العميد ملمّا بالفلسفة والإلهيات ويختص بغرائب من العلوم الغامضة • كان يصون مجلسه من الخوض في مسائل الخلاف في الدين •النقاد القدامى والمعاصرون أقرّوا بحذق ابن العميد في نثره.

يعد ابن العميد أنموذجًا ساطعًا لإنسانية الثقافة العربية الإسلامية، ولشموليتها وازدهارها وعمقها، **فهو يقدم تصورًا واضحًا لامتزاج الثقافات واللغات والأجناس في مظهرٍ حضاري متميز في تاريخ الإنسانية**، وإنه لما يدعو إلى الاعتزاز أن يكون هذا العلم الفارسي من أعلام العروبة والإسلام، وقد جمع في فكره معطيات الحضارتين العربية والفارسية بما فيهما من فلسفة وأدب وهندسة وميكانيك وطبيعة.. الخ، وهو يمثل صورة المثقف الكبير في زمنه **حيث أتقن اللغتين العربية والفارسية من جهة وهكذا**

* - أستاذ جامعي سوري.

كان كبار مثقفي ذلك العصر يتقنون هاتين اللغتين، ومن جهة ثانية فإن هؤلاء المثقفين الكبار قدموا خلاصة جهودهم الإبداعية وغيرها باللغة العربية، وتركوا اللغة الفارسية لغير هذا المجال.

وابن العميد هو أبو الفضل محمد بن الحسين، فارسي من مدينة (قم)، من بيت أدب وسياسة، كان أبوه الحسين بن محمد كاتبًا وسياسيًا، وكذلك ابنه أبو الفتح علي ابن محمد. عمل ابن العميد وابنه في بلاط البوبهيين، أما أبوه أبو عبد الله الحسين بن محمد فقد عمل في بلاط السامانيين، وصل إلى منزلة كبيرة في الكتابة، وكانت رسائله مدونة ومنشورة في خراسان، وأول أمره كان بصحبة (ماكان بن كاكي) الذي صحبه (بويه) جدّ عضد الدولة، وكان كاتبًا عنده ولما قتله السامانيون أخذوا أبا عبد الله هذا أسيرًا ثم أفرجوا عنه وكرموه، ثم تقلد ديوان الرسائل للملك الساماني نوح بن نصر، ولقّب بالشيخ، وبالعميد، ويذكر الصابئ أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل، لكن الثعالبي يرى في هذا الحكم حيفًا شديدًا على ابن العميد، وأفاد الابن من منزلة الأب، ومن رتبته في الأدب والسياسة، وتدرج إلى المعالي في زمنه، وذاع صيته، وانتشر فضله وقصده الناس ومدحه الشعراء، ونجد في شعر المتنبي مدحًا كثيرًا لابن العميد، الذي يفرس (يغلب) الناطقين في فن الكتابة، لأنه أسد في هذا الميدان وابن أسد يقول المتنبي:

إذا سمـــع النـــاس ألفاظَـــه خلقْـنَ لـه في القلـوب الحسَـدْ

فقلـت، وقـد فـرس النـاطقينَ كـذا يفعـلُ الأسـدُ ابـنُ الأسْـد

وفي الوقت الذي بقي فيه الأب في بلاط السامانيين فإن الابن بقي بعيدًا عنهم، وسرعان ما التقى بالبويهيين، وأعجب به ركن الدولة فأكرمه واستوزره سنة ٣٢٨ هجرية وظل ابن العميد وزير ركن الدولة، وابنه عضد الدولة حتى وفاته سنة ٣٦٠ هجرية، حين قصد العراق مع عضد الدولة فحاربا (بختيار) وأغضبا (ركن الدولة) وتهددهما وتوعدهما، فعاد عضد الدولة عن بغداد ليعود إليها من جديد سنة ٣٦٧ دون أن يكون ابن العميد بصحبته، فقد توفي عام ٣٦٠ حين بعث به عضد الدولة من العراق على رأس جيش لقتال زعيم الأكراد (حسنويه).

ويخصص مسكويه في كتابه تجارب الأمم فصلاً كبيرًا يذكر فيه حياة ابن العميد ورتبته في الأدب والعلم والسياسة، وقد عمل مسكويه خازنًا في دار كتب ابن العميد كما عمل الاثنان في بلاط عضد الدولة، ولابد من نقل ما وصف به مسكويه ابن العميد ليعرف القارئ أن قصائد شعراء العربية في مدح ابن العميد لم تكن للمبالغة، أو الرغبة أو الرهبة، فها هو المتنبي يمدحه في عدة قصائد يبيّن في كل منها صواب ما ذكر مسكويه: يقول المتنبي في أول قصائده في ابن العميد:

من مُبلغ الأعرابَ أني بعدهمْ شاهدتُ رسطاليسَ والإسكندرا

وسمعت بطليموس دارسَ كُتْبِهِ متملّكًا متبدّيًا متحضّرا

ولقيتُ كل الفاضلين كأنما ردّ الإلهُ نفوسهُمْ والأعصرا

وقد نظم المتنبي هذه القصيدة حين توجه إلى عضد الدولة فمر بأرجان وفيها ابن العميد فمدحه بهذه القصيدة الجميلة... وللمتني فيه أيضًا قوله:

جاء نيروزنا وأنت مرادُه ووَرت بالذي أراد زنادُه

عظّمتهُ ممالكُ الفرسِ حتّى كلُّ أيامِ عامِهِ حُسّادُه

نحنُ في أرضِ فارسٍ في سرورٍ ذا الصباحُ الذي نَرى ميلادُه

عندَ من لا يُقاسُ كسرى أبوسا سانَ مُلكًا به ولا أولادُه

كيف يرتدُّ مَنكبي عن سماءٍ والنجادُ الذي عليهِ نجادُه

والمهم أن المتنبي وصف ابن العميد بأوصاف أقرّ بها معاصروهما جميعًا، منها قوله في القصيدة الثانية:

عربيٌّ لسانُه فلسفي رأيُه فارسيةٌ أعيادُهْ

خلق الله أفصحَ الناس طرًّا في بلادٍ أعرابُه أكرادُهْ

وإذا عدنا إلى ما ذكره مسكويه في ثقافة ابن العميد وعلومه فإننا نجد المتنبي غير مبالغ، بل مقصّرا، يقول مسكويه:

«.. أما المنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات منها خاصة فما جسر أحد في زمانه أن يدعيها بحضرته إلا أن يكون مستفيدًا أو قاصدًا قصد التعلم.. وكان يختص بغرائب من العلوم الغامضة التي

لايدعيها أحد كعلوم الحيل التي يحتاج فيها إلى أواخر علم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة، وجر الثقل ومعرفة مركز الأثقال وإخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة إلى العمل» وهذا يذكّر بقيمة الحياة العلمية التطبيقية في بلاط عضد الدولة وبنشاطه في العمران والسدود والري وغيرها ويضيف مسكويه من جانب آخر:

«.... وهو أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة حفظًا للغة والغريب وتوسعًا في النحو والعروض، واهتداء إلى الاشتقاق والاستعارات وحفظًا للدواوين من شعراء الجاهلية والإسلام، فأما القرآن وحفظ مشكله ومتشابهه والمعرفة باختلاف فقهاء الأمصار فكان منه في أرفع درجة وأعلى رتبة».

وكان ابن العميد حسن السياسة، حاذق الرأي في أمور الناس والمجتمع من حوله، استطاع بكياسته وفهمه أن يجعل من مجالسه في بلاط ركن الدولة وابنه عضد الدولة مجالس علم وأدب ومودة على اختلاف ما كان يطرح فيها، وعلى اختلاف من كانوا يرتادونها، وقد أوجز (محمد كردعلي) الحال وبينه ببلاغته المعهودة، وبافتقار مادة كتابه إلى السند وإلى الإحالة العلمية، يقول:

«**ومن سياسة ابن العميد وهو الصدر المقدم في الآداب والسياسة أنه كان يصون مجلسه عن الخوض في مسائل الخلاف في الدين،**

وقد يقاطع من يحاول المناقشة فيه، وهو جد عارف بأهل الأثر وأهل الرأي من فقهاء الأمصار، بصير بالمحكم والمتشابه من آي القرآن، إلى معارف جمة في النحو والتصريف واللغة وأشعار العرب، يدرك ما يجر الخلاف من تبعات على دولة اختلفت مذاهب سكانها وأجناسهم، وتباينت أهواؤهم ودرجات ثقافتهم، خصوصًا ومذهبه غير مذهب سلطانه وهو فوق ذلك متشبع بالحكمة حتى ليتهمه بعضهم في دينه، شأن الناس منذ العهد القديم مع من يشتغل بهذا العلم البغيض إلى الفقهاء وأتباعهم، والناس في كل زمان أسرع إلى تكفير أهل التفكير من الماء إلى المنحدرات».

وشعر ابن العميد كثير وكذلك نثره لكن ما وصلنا إلى يوم الناس هذا منه إلا أقله، ولكن المصدر الأهم في هذا ما نجده في مؤلفات الثعالبي ولاسيما في يتيمة الدهر. وهو فارس في ميدان النثر، وفيه برز وبزّ، وسبق أقرانه، وبسببه لقب بالأستاذ، وهو في شعره دون هذا، فقد جمع في نثره البلاغة والحكمة، وقدم فصولاً قصيرة تجري مجرى الأمثال لا يستطيع أن يجاريه فيها أحد، ففيها من البيان والبديع والبلاغة ما يدل على صنعة صناع ماهر حاذق، وفيها من الحكمة والتعقل والمعرفة ما يدل على ثقافة واسعة ودراية متنوعة وبصيرة نافذة، يقول في بعض هذه الفصول:

– المرء أشبه شيء بزمانه، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه.

– المزح والهزل بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر.

– الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرب، ولا تدرك إلا بتجشم كلفة وتصعب.

ونجد الصنعة في مثل هذه الأقوال غير صادرة عن تكلف واجتهاد في البديع والزخرفة، وإنما هي طبع وحسن تخيّر للفظ المناسب للمعنى، فلا جناس ولا طباق ولا سائر أنواع البديع، باستثناء سجع لا تكاد تحس به للطفه، وحسن مناسبة اللفظ الجميل للمعنى الجليل.

ولابن العميد عدد من الرسائل لعل أشهرها رسالته التي بعث بها إلى (ابن بلكا) أحد الذين خرجوا على ركن الدولة واستعصوا عليه، ويقول الثعالبي: إن أهل البصيرة قد أجمعوا على أنها غرة كلامه وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام لأبلغ إمام.

وفي هذه الرسالة نجد اهتمامًا أكبر بالصنعة واشتغالاً متميزًا بها حيث العناية بالبديع والجناس والتصوير، دون أن يأتي هذا على حساب المعنى، فأدبية هذه الرسالة موظفة بدقة وإيجاز وجمال لتحقق غرضين في وقت واحد، الأول غرض جمالي واضح من بنية الرسالة، والثاني إقناع الخارجي بخطئه ونكرانه الجميل وتهديده ووعيده مع إعطائه فرصة ليعود إلى ما كان عليه من طاعة، فربما يسعف هذا النص الجميل في تدارك الاقتتال، وتقوم

البلاغة بما يعجز عنه السيف: كتب ابن العميد إلى ابن بلكا:

«كتابي إليك وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك وإعراض عنك، فإنك تدل بسابق حرمة، وتمتّ بسالف خدمة، أيسرهما يوجب رعاية، ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة.. فقد يغرب العقل ثم يؤوب، ويغرب اللب ثم يثوب، ويذهب الحزم ثم يعود.. وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك، فلا بدع من تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك... فإن يشأ الله يرشدك، ويأخذ بك إلى حظك ويسودك...».

وقد وقف النقاد القدامى والمعاصرون عند هذه الرسالة، ورأوا فيها – كما رأوا في سائر نثر ابن العميد - غاية الحذق والإتقان والصنعة مما يجعلنا نرى في تقريظ الثعالبي لابن العميد حقيقة يسندها النص أو الواقع، وعلى الرغم من أن الثعالبي اعتاد على الإسهاب في استحسان أدب من ترجم لهم، إلا أنه في معرض ذكره حسنات أدب ابن العميد وفكره لا يسهب ولا يبالغ، ومطلع كتاب ابن العميد إلى (ابن بلكا) خير دليل، بل فقرات الكتاب كله، ويكفي دليلاً ازدحام المعاني وتنوعها وتناقضها في وحدة من المعنى والغاية في السطر الأول من الرسالة حين يقول: «كتابي، وأنا متأرجح بين طمع فيك، ويأس منك، وإقبال عليك».

إن الإبداع هنا يظهر في أكثر من منحى، فهو ظاهر في الإيجاز،

وفي غنى الأفكار وتنوع المعاني، كما هو ظاهر في اللفظ والأسلوب، ومثل هذا الإبداع هو الذي جعل مسكويه يبحث ملتمسًا السبب أو الدافع فيجده في الموهبة والفطرة والطبع، فابن العميد فنان في مواقف حياته جميعها، يصدر في أبسط أمور حياته عن نزوع فني طبيعي دون حاجة إلى تكلف أو تعمد الإتقان، ولنلاحظ عمق الربط والتحليل عند مسكويه حين ينظر في هذه الظاهرة فيقول في معرض ذكر ابن العميد:

«... لقد رأيته يتناول في مجلسه الذي يخلو فيه بثقاته وأهل أنسته التفاحة وما يجري مجراها، فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها، وعليها صورة وجه، وقد خطّها بظفره، لو تعمد لها غيره بالآلات المعدّة، وفي الأيام الكثيرة ما استوفى دقائقها ولا تأتِ له مثلها».

ولعل رأي مسكويه هذا، وأدب ابن العميد هما اللذان دفعا بشوقي ضيف إلى ذكر أثر النزعة التصويرية في نثر ابن العميد، حيث جعلت نثره مصّورًا يهتم صاحبه بصنع الصور والرسوم في كتاباته، فإذا أساليبه وكأنها ثروة زخرفية هائلة... «وأكبر الظن أنه تأثر في صناعته بصناعة السجاد في إقليمه، فهو يعاني في كل لفظة ما يعانيه صانع السجاد في كل خيط، ثم هو بعد ذلك يعنى بالوشي الذي تعبّر عنه ألفاظه كما يعنى صانع السجاد بالوشي الذي تعبر عنه خيوطه، وعلى هذا النمط تحولت صناعة الكتابة عند ابن العميد إلى تطريز خالص». ويتضح من

كلام د. ضيف اهتمامه المتميز بظاهر اللفظ أكثر من اهتمامه بدفين المعاني، إن الإعجاز هنا ماثل في المعنى كما هو ماثل في اللفظ، ويعذر أستاذنا د. ضيف إذ أخذ منه جمال الأسلوب كل مأخذ، فهذا الجمال السهل الممتنع - إن صحت التسمية - هو الذي دفع بالثعالبي كما ذكرنا من قبل إلى أن يقول في ابن العميد: «أوحد العصر في الكتابة، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة، والآخذ من العلوم بالأطراف القوية، يدعى الجاحظ الأخير، والأستاذ، والرئيس. يضرب به المثل في البلاغة، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة، مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها. إلى براعة المعاني ونفاستها، وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب، وقد سأله عند منصرفه عنها : بغداد في البلاد كالأستاذ في العباد، وكان يقال: بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد».

ولعل أهم ما يميز نص الثعالبي السابق إشادته بحسن الترسل في نثر ابن العميد، وهو في هذا ينظر إلى المسألة من وجهة نظر الطبع أكثر مما ينظر إليها د. ضيف الذي أسرف في النظر إلى نثر ابن العميد على أنه صنعة وتكلف وزخرفة واهتمام كبير بالتصوير والطباق والجناس، ومهما يكن من أمر فكلا الرجلين يرى في نثر ابن العميد مسوغًا لما يذهب إليه، والسبب في هذا أولاً وآخرًا يعود إلى غنى النص النثري عند ابن العميد على مستوى

الشكل وعلى مستوى المضمون.

هذا الغنى هو الذي جعل محمد كردعلي يخالف رأي ابن سنان في نثر ابن العميد، فيذكر محمد كردعلي رأي ابن سنان – دون أن يذكر المصدر الذي أخذ عنه، وهذا شأنه في كتابه أمراء البيان.

«كان ابن العميد يترك السجع ويتجنبه، وطريقته استعماله مرة ورفضه أخرى، بحسب ما يوجد من السهولة والتيسير، أو الإكراه والتكلف» ويتابع كردعلي فيقول: «أما نحن فإن ما وصلنا من كتاباته يضطرنا إلى أن نحكم عليه حكمًا يخالف حكم ابن سنان، ذلك لأن ما رأيناه كان إلى التسجيع والمزاوجة أقرب».

ونحن إذا أعدنا النظر فيما وصل إلينا من نثر ابن العميد وجدنا رأي ابن سنان هو الصائب، وأن مخالفة كردعلي له ليست في محلها وإن كان ختام قوله: «كان إلى التسجيع والمزاوجة أقرب» صوابًا فابن العميد قريب إلى التسجيع والمزاوجة وإن كان أحيانًا يستعمل ذلك ويرفضه أحيانًا أخرى.

إن اهتمام الفرس بالبيان العربي أمر يستحق التقدير، فهم يصدرون في هذا عن إدراك عميق لقيمة الكلمة ولأثر معناه في النفس، وعلى طريقها ساروا، وبهديها اهتدوا... فدخلوا الإسلام، وأعزهم وأعزوه، وكذلك الحضارة العربية، وهذا لا يعارض الإقرار بأن شرف البيان وسموه سمة عربية عريقة بدأت تتجلى في

آي الذكر الحكيم، ثم في الحديث الشريف ومن بعد في منهج البلاغة، وهل يغيب عن البال قول الإمام علي(ع): «الكلمة أسيرة في وثاق الرجل فإذا أطلقها صار أسيرًا في وثاقها».

لقد كان تاريخ الاهتمام بالكلمة هو تاريخ حضارة شعبها وقديمًا قيل: في البدء كانت الكلمة، ولعل أدباء بلاط عضد الدولة وعضد الدولة نفسه كانوا يعرفون هذا بداهة ويقرون به ويتصرفون في أمور حياتهم على أساسه، فالكلمة الطيبة صنو التصرف الحكيم تدرأ النزاع وترأب الصدع وتحقن الدماء، وقد أحسن عضد الدولة من الإفادة منها أيما إحسان، لذلك نجده يدفع بابن العميد من رتبة أرباب القلم إلى رتبة أرباب السيف، أو على الأصح يجمع بينهما - فإضافة إلى صحبته له في فارس، فإنه حين يقصد بغداد أول مرة ليأخذها من بختيار يصطحبه معه ويسند إليه قيادة الجيش الجرار كما أسند إليه سياسة الألفاظ الجياشة، وإذا أعدنا النظر في الرسالة التي كتبها ابن العميد إلى ابن بلكا فإننا نجدها تقوم مقام تجريد الجيش وتجهيزه وتسييره لمحاصرة الخصم فإما الطاعة وإما القتال. وقد أصاب وأحسن المتنبي في وصف هذه الحال أيما إحسان حين خاطب ابن العميد مبّينًا قيمة كتبه في معرض النزاع والاقتتال، فقال:

بأبي وأمي ناطق في لفظهِ ثمن تباعُ به القلوبُ وتشترى

يا من إذا ورد البلادَ كتابُه قبل الجيوش ثنى الجيوش وحيرا

ونختم الحديث في نثر ابن العميد فيما وجدناه من كتاب قد وجهه إلى عضد الدولة، يذكر فيه أسباب انقراض العلوم، ثم يقول:

«..... وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولدّه تسلط ملك جاهل تطول مدته، وتتسع قدرته، فإن البلاء به لا يعدله بلاء،.... وتعظم النعمة في تملك سلطان عالم عادل كالأمير الجليل الذي أحلّه الله من الفضائل بملتقى طرقها، ومجتمع فرقها، وهي نوافر ممن لاقت حتى تصير إليه، وشرّد نوازع حيث حلت حتى تقع عليه. تتلفت إليه تلفت الوامق وتتشوق نحوه تشوق الصب العاشق، قد ملكتها وحشة المضاع، وحيرة المرتاع».

وهذا النص يعود بنا ثانية ليؤكد أن صاحبه من أمراء البيان العربي، ومن حكماء الحضارة العربية الإسلامية وعلمائها.

وشعر ابن العميد عذب جميل يدل على أن صاحبه ذو طبع وبديهة حاضرة لكنه لم يوفر له ما يلزمه من صنعة وحذق وإتقان على نحو ما وفر لنثره.

وما وصل إلينا من شعره أغلبه في الإخوانيات، وليس فيه من أغراض الشعر التقليدية شيء، ولا يشير إلى رغبته في أن يكون من بين الشعراء، لكنه يشير في الوقت نفسه إلى خبرته الطويلة في هذا الفن وإلى مقدرته على ارتياد ميدانه، فهو يستطيع أن يجعل أحداث يومياته قصائد، وحواره مع جلسائه شعرًا يسيرًا جميلاً،

فمرة أهدى إليه صديقه ابن خلاد كتابًا في الأطعمة، وكان ابن العميد ناقهًا من علة كانت به، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة طويلة في هذا الأمر نقل إلينا الثعالبي منها نحوًا من خمسين بيتًا مطلعها:

فهمت كتابك في الأطعمه ... وما كان نَولَي أن أفهمَهْ

فكم هاج من قرمٍ ساكنٍ ... وأوضحَ من شهوةٍ مبهمه

وأرّثَ في كبدي غلةً ... من الجوع نيرانها مضرمه

فكيف عمدت به ناقَهَ ... جوانحه للطّوى مسلمه

ومثل هذا كثيرًا ما كان يجري بين ابن العميد وجلسائه، وكان في بعضه يسترسل على سجيته دون تجويد وإتقان على نحو ما كان يوفر لنثره.

الإمام الشهيد حسن البنا رائد الحركة الاسلامية المعاصرة واحد من رواد التقريب بين السنة والشيعة وساهم في أعمال جماعة التقريب، وقابل آية الله الكاشاني في الحج عام ١٩٤٨، وتفاهما ووصلا الى نقطة رئيسية لولا أن عوجل حسن البنا بالاغتيال. والتعاون بين الإخوان المسلمين والشيعة أدى الى زيارة نواب صفوي للقاهرة سنة١٩٥٤.

الشهيد فتحي الشقاقي

العلم والإيمان

مرتضى مطهري

علاقة العلم بالإيمان

النزعة الإنسانية أصيلة ومستقلة في الإنسان وليست مجرّد انعكاس عن حياته الحيوانية.

العلم والإيمان ركنان أساسيان من إنسانية الإنسان. فما هي العلاقة بين هذين الركنين الإنسانيين؟

في عالم المسيحية، ظهرت مع الأسف أفكار توحي بالتناقض بين العلم والإيمان، وتلك الأفكار تستمد وجودها من انحرافات العهد القديم حيث يقول:

«... وأوصى الإله آدم قائلاً: من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منه. لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت».

ويقول: «وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله. فقالت للمرأة أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة، فقال الله لا تأكلا منه ولا تمسّاه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة

جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر. فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل. فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر».

ويقول أيضًا: «وقال الرّب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر. والآن لعله يمدّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد».

الشجرة الممنوعة في هذا المفهوم هي – إذن – شجرة المعرفة، وكان أمر الله (الدين) يقضي بعدم اقتراب الإنسان من هذه الشجرة، ولما عصى أمر ربه وصار «عارفًا» طُرد من الجنة.

كل الوساوس التي تساور الإنسان، هي وسوسة المعرفة، ومن هنا كان الشيطان الوسواس هو (العقل) ذاته، في مفهوم العهد القديم!

والمسلم يمتلكه العجب حين يسمع هذا.. يعجب لأن القرآن علّمه: أن الله تعالى علّم آدم الأسماء (الحقائق) كلها. ثم قال للملائكة اسجدوا لأدم فسجدوا.. إلا إبليس.. عصى لأنه لم يسجد لآدم العارف بالحقائق.

يعجب لأن السنّة علّمته أن الشجرة الممنوعة، هي رمز الحرص والطمع وأمثال ذلك مما يرتبط بحيوانية الإنسان لا بإنسانيته. والشيطان الوسواس، يوحي دومًا ما هو مناقض للعقل وملائم

لهوى النفس الحيوانية، والنفس الأمارة – لا العقل البشري – هي التي تمثل مظهر الشيطان في الوجود الإنساني.

نعم، الإنسان المسلم الذي تربى على هذه المفاهيم، يتملّكه العجب حين يسمع ما جاء في سفر التكوين.

مما سبق نفهم سبب تقسيم تاريخ الحضارة الأوربية خلال القرون الخمسة والعشرين الأخيرة إلى عصر الإيمان وعصر العلم! وسبب تناقض العلم والإيمان في ذهن الإنسان الأوربي.

هذا، بينما تاريخ الحضارة الإسلامية يُقسّم إلى عصرين:

– عصر ازدهار العلم والإيمان معًا.

– عصر انحطاط العلم والإيمان معًا.

والمسلم ينبغي أن يكون على حذر شديد من الفهم الأوربي لعلاقة العلم بالإيمان، ومن الانجرار نحو التقليد الأعمى لهذا الفهم الذي جرّ على العلم وعلى الإيمان أفظع الأضرار.

ونريد الآن أن نعالج هذه المسألة بعمق أكثر، ونبين مدى صحة مقولة انفصال العلم عن الإيمان، ونجيب على هذا السؤال: هل إن حياة الإنسان محكوم عليها دومًا بنوعين من الشقاء: الجهل، وشقاء عدم الإيمان؟!

وهنا لابد من الإشارة إلى مسألة هامة في هذا الصدد.

كلّ إيمان لابدّ أن يقوم على أساس نظرة خاصة إلى الكون والحياة، كما سنوضّح ذلك في الفصول القادمة. وبعض هذه النظرات تتنافى مع أصول العلم والمنطق.. وهذا ما لسنا بصدده،

وإنما الذي نريد أن ندرسه، هو النظرة التي تستطيع أن تكون مسنودة بالعلم والمنطق من جهة، وأن تكون قاعدة قويمة لإيمان يبعث على السعادة من جهة أخرى.

وإن أثبتنا وجود هذه النظرة، أجبنا على السؤال المذكور، وعرفنا أن الإنسان غير محكوم عليه دومًا بنوعين من الشقاء.

علاقة العلم بالإيمان يمكن دراستها على صعيدين:

الأول: ندرس فيه إمكان وجود تصور للكون والحياة، مسنود بالعلم والمنطق من جهة، ويتّصف بالإيمانية والهدفية من جهة أخرى. وهذا ما سنعالجه في فصل «التصوّر».

الثاني: تأثير كل من العلم والإيمان على الإنسان ومدى تعارض التأثيرين أو انسجامهما.

علاقة العلم بالإيمان على الصعيد الثاني هي في رأينا علاقة تكميليّة، أي إن أحدهما يكمّل الأخر.

العلم يمنحنا القوة وينير لنا الطريق، والإيمان يبعث في قلوبنا الأمل والاندفاع.

العلم يصنع الآلة، والإيمان يرسم الهدف.

العلم يبعث على السرعة، والإيمان يعيّن الاتجاه.

العلم قوة، والإيمان إرادة سليمة.

العلم يكشف عما هو موجود، والإيمان يكشف عما ينبغي أن نعمل.

العلم ثورة خارجية، والإيمان ثورة داخلية.

العلم يحوّل العالم إلى عالم إنساني، والإيمان يصيّر النفس إلى نفس إنسانية.

العلم يوسّع نطاق وجود الإنسان أفقيًا، والإيمان يرفع مستوى هذا الوجود عموديًا.

العلم يصنع الطبيعة، والإيمان يصنع الإنسان.

العلم والإيمان كلاهما يمنحان الإنسان القوة، لكن العلم يمنحه قوة منفصلة والإيمان يمنحه قوة متصلة.

العلم جمال والإيمان جمال، غير أن العلم جمال العقل، والإيمان جمل الروح.. العلم جمال الفكر والإيمان جمال الشعور.

العلم والإيمان كلاهما مدعاة للاطمئنان، بيد أن العلم اطمئنان خارجي، والإيمان اطمئنان داخلي.

العلم يقي الإنسان من الأمراض الجسمية والكوارث الطبيعية، والإيمان يَقيه من الأمراض والعقد النفسية.

العلم يوائم بين العالم والإنسان، والإيمان يوائم بين الإنسان وذاته.

حاجة الإنسان إلى العلم والإيمان معًا مسألة ألفتت أنظار المفكرين.

محمد إقبال اللاهوري يقول:

«البشرية اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور: إلى تفسير روحي للعالم، والى حرية روحية للكائن الإنساني، والى مبادئ أساسية

ذات مفعول عالمي تدفع المسيرة البشرية نحو التكامل على أساس روحي.

مما لا شك فيه أن أوروبا الحديثة أسّست مراكز فكرية مثالية في هذه الحقول، لكن التجربة أثبتت أنّ الحقيقة التي يتمخّض عنها العقل المحض لا تستطيع أن تنطوي على حرارة الإيمان الحيّ الذي لا يتأتّى إلا عن طريق الإلهام الشخصي. ومن هنا نجد أن العقل المحض لم يكن له تأثير يذكر على النوع البشري، بينما كان الدين دومًا مبعث ارتقاء الأفراد، ومبعث تغيير شكل المجتمعات البشرية.

مثالية أوربا لم تدخل الحياة الاجتماعية بشكل عامل حيوي، ونتج عن ذلك الإنسان الحائر بين الديمقراطيات المتضاربة، وهو يبحث عن ذاته، حيث اتجهت تلك الديمقراطيات نحو استثمار الفقراء لصالح الأغنياء.

صدّقوني أن أوبا تشكل اليوم أكبر عقبة على طريق تقدّم أخلاق البشرية.

ومن جهة أخرى يمتلك المسلمون أفكارًا ومعتقدات متسامية متكاملة تقوم على أساس الوحي. هذه الأفكار والمعتقدات تنطلق من أعماق الحياة لتُضفي على ظواهر الحياة صفة باطنيّة.

الإنسان المسلم يؤمن بالأساس الروحي للحياة كأمر اعتقادي، وهو على استعداد لأن يبذل روحه رخيصة في سبيل هذا الاعتقاد».

ويل ديورانت (مؤلف تاريخ الحضارة المعروف) على الرغم من

عدم تديّنه يقول:

«عالم الآلة الحديث يختلف عن العالم القديم في الوسائل فقط، لا في الأهداف..

ماذا ستقول لو أن كل تطوّراتنا اتجهت نحو إصلاح الطرق والوسائل ولم تتجه نحو إصلاح الغايات والأهداف؟.

ويقول أيضًا:

«الثروة تبعث على الإرهاق، العقل والحكمة يشكلان نورًا باهتًا باردًا. أما العشق فهو الذي يبعث الدفء في القلوب بطريقة يعجز الإنسان عن وصفها.

أغلب المفكرين أدركوا اليوم أن الاتجاه العلمي المحض (ساينتزم) عاجز عن صنع الإنسان، والتربية العلمية المحضة تصنع نصف إنسان لا الإنسان الكامل.. تصنع الإنسان القوي المقتدر لا صاحب الفضيلة.

لم يعد يخفى على أحد اليوم أن عصر العلم المحض قد انتهى، وأضحت المجتمعات يتهدّدها الفراغ الروحي، فراح بعضهم يحاول ملء هذا الفراغ بالفلسفة المحضة، وبعضهم لجأ إلى الآداب والفن والعلوم الإنسانية.

وفي إيران جَرَت (قبل انتصار الثورة الإسلامية) محاولات لملء هذا الفراغ بالأدب العرفاني، مثل أدب المولوي وسعدي وحافظ، وأصحاب هذه المحاولة غفلوا أن الآداب تستمد روحها وجذّابيتها من الدين.

الروح الإنسانية في هذه الآداب هي الروح الإسلامية، ولا أدلّ على ذلك من خلوّ بعض النتاج الأدبي المعاصر من كلّ روح وجذّابية على الرغم من تظاهره بالنزوع إلى الاتجاه الإنساني.

المحتوى الإنساني للأدب العرفاني الفارسي ناشئ عن نوع من التفكير في الكون والحياة، هو التفكير الإسلامي.

وإن سلبنا هذه الروائع الأدبية روحها الإسلامية، تحوّلت إلى جسد بلا روح.

«ويل ديورانت» من أولئك الذين أحسّوا هذا الفراغ الروحي، فاقترح ملأه بالآداب والفلسفة والفن قائلا: «أفدح الأضرار التي مُنيت بها مدارسنا وجامعاتنا جاءت من نظرية «سپنسر» التربوية التي عرفت التربية: أنها تكييف الإنسان مع ظروف بيئته.

وهذا التعريف الميكانيكي الميت ينطلق من فلسفة «تفوق الميكانيك». والذهن الخلاق والروح الخلاقة ينفران من هذا التعريف.

نتج عن ذلك امتلاء مدارسنا بالعلوم النظرية الميكانيكية، وخلوّها من الآداب والتاريخ والفلسفة والفن التي زعم أنها عديمة الجدوى..

التربية التي تقتصر على العلم لا تلد إلا الآلة، وتجعل الإنسان غريبًا عن الجمال وبعيدًا عن الحكمة لقد كان من الأفضل للعالَم أن سپنسر لم يكتب كتابًا».

«ويل ديورانت» يعترف أن الفراغ السائد انما هو فراغ إيماني،

فراغ هدفي، فراغ في المقاصد والغايات والأهداف ويؤدي إلى العبثية. ومن الغريب، أنه يظن ـ مع كل هذا ـ أن هذا الفراغ يمكن ملؤه بأي نوع من أنواع الموضوعات الروحية والمعنوية، حتى ولو لم تكن تلك الموضوعات تتجاوز حدود قوة التخيل!!

ويظنّ أن هواية التاريخ والفن والجمال والشعر والموسيقى، قادرة على ملء الفراغ الذي يستمد وجوده من فطرة الإنسان الميّالة الى الأهداف السامية والكمال الإنساني.

الفصام بين العلم والإيمان

علمنا أن العلم والإيمان لا يتناقضان، وليس هذا فحسب، بل إن أحدهما يكمّل الآخر.

وهنا نطرح هذا السؤال: هل إن أحدهما يستطيع أن يحلّ محلّ الآخر؟

حين تحدثنا عن دور العلم ودور الإيمان أجبنا إلى حدّ كبير على هذا السؤال.

فالعلم لا يستطيع أن يحلّ محلّ الإيمان، إذ إن الإيمان يخلق الاندفاع والأمل، ويرفع سطح تطلّعاتنا، ويبدّل أهدافنا (القائمة طبيعيًا وغريزيًا على أساس الفردية والذاتية) إلى أهداف قائمة على أساس الحب والنزعات الروحية والمعنوية، ويغيّر محتوانا الداخلي.

والإيمان لا يستطيع أن يحلّ محلّ العلم، فالعلم يعرّفنا على

الطبيعة، ويكشف لنا قوانينها، ويعرّفنا على أنفسنا أيضًا.

التجارب التاريخية تؤكد أن انفصام العلم عن الإيمان جرّ على البشرية أفظع الأضرار.

لابدّ للإنسان أن «يؤمن» على أساس من العلم، فالعلم يقي الإيمان من التلوّث بالخرافات.

انفصال العلم عن الإيمان، يؤدّي بالإيمان إلى الجمود والركود والتعصّب الأعمى.

أينما خَلَت الساحة من العلم والمعرفة، يضحى المؤمنون الجهلة ألعوبة بيد المنافقين المحنكين، كما حدث ذلك للخوارج وأمثالهم في مختلف العصور الإسلامية.

والعلم، إن لم يقترن بالإيمان، هو سيف في يد متهوّر أهوج، ومصباحٌ في يد سارق يستخدمه في انتقاء المتاع الأفضل عند السرقة.

الطبيعة السلوكية للأفراد غير المؤمنين واحدة لا اختلاف فيها، سواء عاشوا في عصرنا الراهن (عصر العلم) أم في العصور الغابرة.

من هنا لا نجد فرقًا بين أفراد معاصرين مثل «تشرشل» و«جونسون» و«نيكسون» و«ستالين»، وبين أفراد كانوا يعيشون في عصور خلت من قبل مثل فرعون وجنكيز.

وربما يعترض معترض فيقول: إن العلم قوة وهداية، وقوته وهدايته لا تقتصران على العالم الخارجي، بل إنه يضيء لنا

وجودنا الداخلي، وبذلك يمنحنا القدرة على تغيير محتوانا الداخلي. فالعلم يستطيع إذن أن يصنع العالم ويصنع الإنسان، وبمقدوره أن ينهض بالدور الذي ينهض به الإيمان إضافة إلى دوره الخاص.

هذا صحيح طبعًا.. غير أن قدرة العلم وقوته كقدرة الآلة وقوتها، ترتبط بإرادة الإنسان وأوامره. الإنسان يستطيع باستخدام العلم، أن يقوم بعمل أفضل في كل المجالات، ومن هنا فالعلم أفضل عون للإنسان على طريق تحقيق أهدافه المتوخّاة. وتبقى مسألة الأهداف التي لا يستطيع العلم بكل تطوراته واكتشافاته أن يغيّر منها شيئًا.

الإنسان يمتلك الصفات الحيوانية بالطبع، ويحصل على الصفات الإنسانية بالاكتساب، أي إن الاستعدادت الإنسانية تظهر في الإنسان بالتدريج في ظل الإيمان.

الإنسان يتحرّك بالطبع على طريق تحقيق أهدافه الحيوانية وتلبية رغباته الذاتية الفردية، ويستخدم كل آلة، بما فيها آلة العلم، على هذا الطريق. ومن هنا كانت هذه الآلة عاجزة عن تغيير مسار الإنسان ورفع مستوى أهدافه وتطلّعاته.

الإنسان بحاجة إلى قوّة تحرّك طاقاته الإنسانية الكامنة، وتفجّر في أعماقه ثورة، وتمنحه اتجاهًا جديدًا. ومثل هذا التغيير، لا يحصل إلا عن طريق الإيمان ببعض القيم وتقديسها. وهذه القيم وليدة نزعات متسامية في الإنسان، وهذه النزعات تنبثق

بدورها من نظرة خاصة إلى الكون والحياة، لا يمكن الحصول عليها من المختبرات ولا من محتوى الأقيسة والاستدلالات.

انفصام العلم عن الإيمان، أدّى إلى نتائج وخيمة، وهذا ما حدّثنا عنه التاريخ وما نشهده في عالمنا المعاصر.

فحين ساد الإيمان ولم يكن معه العلم، اتجهت المساعي الإنسانية نحو أمور غير مجدية وغير مثمرة غالبًا، بل وأدّت أحيانا إلى خلق الجمود والتعصّب والتحجّر، والى نزاعات تافهة مخرّبة، والتاريخ مليء بمثل هذه الصور.

وحين تطوّر العلم ولم يقترن بالإيمان، اتجهت الطاقات العلميّة نحو خدمة نزعات الغرور والكِبرَ والتوسّع والتسلط والاستثمار والاستعباد والمكر والخداع.

القرنان الأخيران، أو الثلاثة الأخيرة، يمكن اعتبارها عصور عبادة العلم والابتعاد عن الإيمان.

كثير من العلماء، خالوا أن جميع مشاكل البشرية يمكن حلّها بعصا العلم السحرية، لكن التجربة أثبتت خلاف ذلك فلا تجد اليوم بين العلماء من ينكر حاجة الإنسان إلى نوع من الإيمان بشيء خارج عن نطاق العلم، حتى ولو لم يكن إيمانًا دينيًا. «برتراند رسل» مع ماله من اتجاهات مادية يقول:

«العمل الذي يستهدف الحصول على المال فقط، لن تكون له نتيجة مفيدة. ومن أجل تحقيق مثل هذه النتيجة، ينبغي القيام بعمل ينطوي على «الإيمان» بفرد أو بعقيدة أو بهدف».

الماديون أيضًا مضطرون اليوم إلى الادعاء أنهم ماديون على الصعيد الفلسفي، ومثاليون على الصعيد الأخلاقي! أي إنهم ماديون على مستوى النظرية وروحيون على مستوى العمل والهدف.

تُرى كيف يمكن أن يكون الإنسان ماديًا في الفكرة وروحيًا في العمل والهدف؟! هذا أسؤال ينبغي أن يجيب عليه الماديون أنفسهم.

جورج سارتن، العالم الذي اشتهر بكتابه «تاريخ العلم» يصرّح بعجز العلم عن إحلال علاقات إنسانية بين أبناء البشر، ويؤكد على حاجة الإنسان المبرمة إلى دوافع إيمانية، فيقول:

«العلم حقّق في بعض المجالات انتصارات عظيمة وباهرة، لكننا لازلنا نخدع أنفسنا في المجالات الأخرى، مثل السياسة الداخلية والعالمية التي ترتبط بعلاقات أفراد البشر مع بعضهم».

ويؤكد «سارتن» على احتياج الإنسان إلى إيمان ديني، والى مثلث الفنّ والدين والعلم فيقول: «الفنّ يميط اللثام عن الجمال، وهو لذلك مبعث سرور الحياة. الدين يبعث على الحبّ.. العلم يتعامل مع الحق والحقيقة والعقل، ويؤدّي إلى فطنة النوع البشري.

ونحن بحاجة إلى هذه العناصر الثلاثة: إلى الفن وإلى الدين وإلى العلم.

العلم بشكله المطلق ضروريّ للحياة، ولكنه غير كاف لوحده على الإطلاق».

أبو تمام الطائي
وإيران

مكانته الأدبية

حبيب بن أوس الطائي، ولد في الشام، والآراء متضاربة في سنة ولادته، وفي صحة نسبه إلى طيء، وفي ديانة أبيه، وفي نشأته، وفي مذهبه الديني والسياسي. قيل إنه ولد سنة ١٨٨ وقيل ١٩٠ وقيل سنة ١٩٢. وزعم قوم أن أباه كان نصرانيًا اسمه تدوس، ثم حرّف إلى أوس. وقالوا إنه نشأ بدمشق وقيل إنه نشأ بمصر. وعن مذهبه قالوا إنه شيعي لقصيدته الرائية التي يفضل فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومطلعها:

أظبيةُ حيثُ استنت الكثُب العفرُ

ورويدك لا يغتالك اللوم والزجرُ

وقالوا بأنه لم يكن شيعيًا ولكنه انجرف في الموجة العلوية التي أثارها المأمون.

ومن مجموع الأقوال المتضاربة يمكن أن نفهم أن الرجل نشأ في عائلة مغمورة فقيرة، عمل منذ نعومة أظفاره في حرفة ليكسب قوته بعرق جبينه.

لكن جوّ العالم الإسلامي آنئذ كان يوفّر الفرصة حتى لأبناء هؤلاء الفقراء ليتزودوا بالعلوم والمعارف. فالمساجد مملوءة

بحلقات الدرس، والحضور فيها مفتوح لكل الطالبين. واختلف حبيب على هذه الحلقات فتزوّد منها معارف الدين والتاريخ والأدب، وأهّلته لأن يصبح سيد شعراء العربية.

غير أن حبيبًا كان فيه كل ما يدفعه لهذا الرقيّ، وخاصة الاستقلال في الشخصية، وهذه الصفة أهلته للإبداع ولأن يكون بين أنبغ الشعراء الموهوبين، ونأت به عن التقليد في كل اتجاهاته الفكرية والأدبية. فنراه وهو في السابعة عشرة من عمره ينشد قصيدة في مدح آل البيت رسول الله (ص)، وفيها يسجّل ألوان الإبداع الفني إضافة إلى إبداعه في الفكرة والتوجّه إلى هذا البيت الكريم.

ويلاحظ في شعر أبي تمام الجمع بين الحسّ والعقل، وهو تزواج قلّما نجده في الشعر العربي، بل نجده كثيرًا في الشعر الفارسي.

نرى ذلك بوضوح في المقدمات الغزلية لقصائده، من ذلك قصيدته التي مطلعها:

دمنٌ ألمّ بها فقال سلام كم حلّ عُقدة صبره الإلمامُ

وهكذا في أبياته عن تجارب الدهر كقصيدته:

عنّت فأعرضَ عن تعريضها أربي ياهذه عذري في هذه النُّكب

وأمثال ذلك في ديوانه كثير.

وابتعاده عن التقليد فجّر في شاعريته التجديد في المعاني، فنرى ديوانه مملوء بالمعاني المبتكرة وفي بعض قصائده يكاد لايخلو بيت من هذا الابتكار والإبداع كقصيدته التي يمدح المأمون

ومطلعها:

كشف الغطاء فأوقدي أو أخمدي

لم تكمَدي، فظننت أن لم يكْمَد

وقصيدته التي يرثي بها محمد بن حُميد الطوسي:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

أو قصيدته البائية العظيمة في مدح عبد الله بن طاهر:

هنَّ عوادي يوسف وصواحبُه فعزما فقدما أدرك السؤل طالبُه

أو قصيدته التي يمدح بها المعتصم بعد وقعة عمورية:

السيف أصدق إنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

والظاهرة الهامة الأخرى في ديوان أبي تمام تفاعل شعره مع أحداث عصره بحيث تشكل صفحاته مرآة صافية لتاريخ أبناء ذلك العصر في الأبعاد النفسية والسياسية. من هنا تتضح أهمية دراسة شعر أبي تمام فنيًا وتاريخيًا.

إيران في عصر أبي تمام

دخل الإسلام إيران عن طريق القلوب، وتعاون الإيرانيون مع العرب للقضاء على طاغوت إيران، فدخل الناس في دين الله أفواجًا، وتفاعلوا مع الدين المبين حتى نبغ خلال القرن الأول إيرانيون في مختلف علوم الدين واللغة العربية وآدابها.

ويظهر من الوثائق التاريخية أن العرب الذين دخلوا إيران إبان الفتح الإسلامي كانوا يحملون - بصورة عامة - روح الدعوة والهداية، وعلى أيديهم انتشرت اللغة العربية وعلوم الدين، وبسلوكهم الإسلامي اجتذبوا ملايين الإيرانيين ليكونوا جنوداً للإسلام بفكرهم وعلمهم وسيفهم. لكننا نلاحظ في فترة متقدمة من الفتح سلوكاً منحرفاً من بعض الولاة، غير أن الخليفة عمر لم يكن يسمح لهذه الظاهرة بالاستمرار. وفي عصر الخليفة عثمان بدأ منحنى أخلاق الولاة بالهبوط، فأثار سخط أهل البلاد المفتوحة. والإمام علي بعد توليه الخلافة سارع إلى تغيير مسار هذا الانحراف فأرسل إلى البلاد المفتوحة صلحاء الصحابة والتابعين ما أمكنه ذلك، ونقل عاصمته إلى الكوفة ليكون قريباً من الإيرانيين الذين يشكلون الغالبية العظمى من المسلمين غير العرب.

ولم تُثن الوسادة لعليّ، وبعد شهادته واستيلاء البيت الأموي على الحكم عاث معظم الولاة الأمويين فساداً في الأرض، وتجبروا وطغوا وساموا الناس سوء العذاب. ولولا مرور الإيرانيين - ولو لفترة قصيرة - بتجربة الحكم الإسلامي وخاصة خلال سنوات حكومة عليّ، ووجود الدعاة العلويين بينهم، لارتدّوا عن الدين بسبب ما رأوه من مفارقات سلوكية لدى الولاة بشكل خاص، ولدى القبائل العربية التي بدأ الصراع القبلي بينها على أشدّه،

بتأثير السياسة الأموية، وخاصة في خراسان.

وبمرور الأيام ازداد حنين الإيرانيين إلى الحكم العلوي وسخطهم على الحكم الأموي (لا على العرب). واستغل الثائرون ضد بني أمية هذه الروح لدى الإيرانيين، فجنّدوهم في ثوراتهم. ثم استطاع أبو مسلم الخراساني أن يجند أكبر عدد منهم تحت شعار «الرضا من آل محمد»، وتوجّه بهم إلى الشام فاستأصل شأفة الأمويين.

ويظهر من الوثائق التاريخية أن أبا مسلم الخراساني كان ذا شخصية قوية قيادية نافذة. فدخل في عواطف الإيرانيين وقلوبهم، وأصبح رمزًا لإنقاذهم من الظلم والطغيان وإعادة العدل العلوي وحكومة آل بيت رسول الله (ص) إليهم. لكن وثوب العباسيين على الحكم وسحقهم كل القيم الإنسانية من أجل السيطرة على الخلافة قد أصاب الإيرانيين بإحباط كبير، فلقد شاهدوا مقتل أبي مسلم على يد المنصور، ثم بطش الخليفة العباسي بأقاربه وبمن وطّدوا له الحكم، ونكبة البرامكة، واقتتال الأمين والمأمون، ومحاربة العلويين ومطاردتهم، كل ذلك أبعد الخلافة عن كل قدسيّة في أذهان الناس عامة والإيرانيين بشكل خاص، وتحوّلت المسألة الإسلامية إلى مسألة صراع مصلحي على الحكم والسيطرة، وكانت هذه الصدمة هي أيضًا كافية لأن تحدث ردّة عن الإسلام لولا وجود الدعاة والمصلحين بين الإيرانيين وخاصة

من آل بيت رسول الله(ص). وكان بإمكانها أن تعبىء جيشًا خراسانيًا آخر نحو عاصمة الخلافة العباسية لولا اهتمام الخلفاء العباسيين بإغداق الأموال والجوائز على وجوههم وقوادهم، واستخدامهم في إدارة الجيش والحكم، والتظاهر بحب العلويين مثل تولية المأمون الإمام الرضا عهدَه، لكن هذا الاصطناع كله لم يمنع من ظهور حركات انتقام لمقتل أبي مسلم، ومحاولات انفصال عن الخلافة العباسية نشاهدها بكثرة ووضوح في عصر المأمون والمعتصم وهو عصر شاعرنا أبي تمام.

النصوص التاريخية تتحدث عن هذه الحركات بتحامل، وتنسب إليها عقائد منحرفة وأعمالاً مستهجنة، ومن المحتمل جدًا أن يكون في ذلك كثير من الافتراء، لأنها تقوم على أساس روايات السلطة العباسية الحاكمة. لكننا لا نستطيع أن ننزه هذه الحركات أيضًا، لأنها لم تكن موضع تأييد الصالحين من أبناء ذلك العصر.

بعد مقتل أبي مسلم تظهر فجأة جماعة الراوندية نسبة إلى راوند القريبة من أصفهان. ويقال إن زعيمها الابلق تكلم بالغلوّ في علي والأئمة من ولده، ثم ظهرت جماعة المقنّعة في عهد الخليفة المهدى (١٥٨ - ٥١٦٩-). بخراسان، وتدعو إلى تقديس علي بن أبي طالب وأبي مسلم الخراساني كما يقول المؤرخون. وفي عصر المأمون ثار بابك الخرمي انتقاما لأبى مسلم الخراساني

واستمرت ثورته إلى زمان المعتصم. وفي بداية حكم المعتصم ثارت جماعة المحمّرة بالجبل، وكانوا على نهج الخرّمية، فقاتلهم اسحق بن إبراهيم المصعبي (ممدوح أبي تمام) وقضى عليهم. ويلاحظ أن الخلفاء العباسيين استعانوا بقادة إيرانيين للقضاء على هذه الثورات. غير أن بعض هؤلاء القادة أنفسهم أحسّوا بأنهم يقاتلون في سبيل خليفة لا يحظى بأية قدسيّة ولا يستحق أية مكانة دينية، فحاولوا أن يستقلوا ببلدانهم عن الخلافة الإسلامية كما فعل عبد الله بن طاهر الذي استقل بخراسان وأسس الدولة الطاهرية فيها. غير أن بعض هؤلاء القادة أراد الإطاحة بالخلافة العباسية نحو ما فعل «المازيار» الذي لمع نجمه في أيام المأمون وتولى قسمًا من طبرستان، ولكنه في أيام المعتصم ثار ضد الخلافة العباسية، ويقال أنه راسل بابك في هذا الأمر.

ومثل مازيار «الافشين» ، وهو من بلاد ما وراء النهر (خراسان الكبرى) قاد الجيوش في حرب عمورية، وأبلى بلاء حسنًا في حرب بابك الخرمى، لكن المعتصم شك في نواياه فقتله شرّ قتله بعد أن نسب إليه كل قبيح من العقائد والأعمال.

أبو تمام في خراسان

قصد أبو تمام خراسان حين كان عبد الله بن طاهر واليًا على خراسان والمشرق. وعبد الله هذا ابن طاهر بن الحسين القائد

الخراساني الذي حارب الأمين وقتله، ووطد الحكم للمأمون. وتولى خراسان والمشرق سنة ٢٠٥، واستقل عن الخلافة وترك الدعاء للخليفة المأمون سنة ٢٠٧. وعبد الله ابنه تولى مصر ثم تقلب في الأعمال حتى تولى أمر خراسان والمشرق بعد وفاة أبيه وأخيه مصعب سنة ٢١٤.

كان عبد الله عظيمًا في شخصيته وكرمه وعلمه وأدبه. عرفه أبو تمام وهو في مصر، وعزم على الذهاب إليه سنة ٢١٩.

ويسير أبو تمام نحو إيران حتى إذا بلغ قومس وقد أتعبه السفر قال:

يقول في قومس صحبي، وقد أخذت
منّا السُرى وخطا المهريـــة القود
أمطلعَ الشمس تبغـــي أن تـؤمّ بنا
فقلت كلا ولكـــن مطلـــع الجـود

وحين وصل إليه أنشده قصيدته البائية الرائعة التي ذكرنا مطلعها آنفًا. ويختتمها بقوله:

ويـــا أيهـــا الســـاعي ليُـــدرك شـــأوّه تزحزح قصيّا أسوأُ الظنّ كاذبُه
بحسبك مـن نيل المناقب أن تُرى عليمًـا بـأن ليسـت تُنـال مناقبـه
إذا مـــا امرؤ ألقى بربعك رحلَـــه فقد طالبته بالنجاح مطالبـــه

وكان في مجلس عبد الله بن طاهر جمع من الشعراء، فهاجوا وماجوا حين استمعوا إلى القصيدة، فصاح أحدهم: ما يستحق

مثل هذا الشعر غير الأمير أعزه الله. ونادى آخر: لي عند الأمير جائزة وعدني بها وقد جعلتها لهذا الرجل جزاء عن قوله للأمير. ونثر عليه عبد الله ألف دينار فلم يمسّ أبو تمام شيئًا منها والتقطها الغلمان. وقد يكون هذا الموقف من أبي تمام قد أغضب الأمير لأنه ترفع عن برّه، لأننا نجد عبد الله قد جفا الشاعر وأهمله زمنًا بعد إنشاد هذه القصيدة. وقد تكون هذه الجفوة بسبب انجراف أبي تمام في موجة العصبيات القبلية التي كانت سائدة بين القبائل العربية في خراسان، وبين هذه القبائل وغيرها من الإيرانيين أصحاب البلاد الأصليين. فنجد أبا تمام يشير في قصيدة أنشدها بخراسان إلى انقسام صفوف العرب بين عدنانيين وقحطانيين، ولكنه بدل أن يدعوهم إلى نبذ العصبيات الجاهلية بمنطق إسلامي، يدعوهم إلى نبذها بمنطق جاهلي آخر، فيحذرهم من التفرق كي لا يتغلب عليهم الفرس. وهي استثارة عصبية جاهلية تستفز الإيرانيين. عادة، وقد تكون قد استفزت عبد الله بن طاهر الإيراني.

يقول أبو تمام يمدح حفص بن عمر الأزدي الذي جمع بين القبائل العربية المتطاحنة:

ضممت إلى قحطان عدنان كلّها

ولم يجدوا إذ ذاك من ذاك من بد

ثم يحذر العرب من سيطرة الفرس بلغة مهينة بالإيرانيين:

وأوباشـــها خـــزر إلى العـــرب الألى

لكيمـا يكـون الحـرُّ مـن خـول العبـد

ومـا قصـدوا إذ يسـحبون علـى المنـى

بـــــــرودهم إلا إلى وارث الـــــــبرد

ورامـــوا دم الإســـلام لا مـــن جهالـــة

ولا خطـــأ، بـــل حـــاولوه علـــى عمـــد

فمجّـوا بـه سمًـا زعافًـا ولـو نـأت

سيوفك عنهم كان أحلى من الشهد

وهـي غطرسـة عنصـرية لا تخـدم المصلحة الإسـلامية أبـدًا، بـل تخلق الضغائن في النفوس، وخلقتها بالفعل في نفس الأمير عبد الله بن طاهر، فحرم الشاعر من بحر جوده وأصبح يعاني الغربة، فيقول:

صـريع هـوى تغاديـه الهمـوم بنيسـابور لـيس لـه حمـيمُ

غريب ليس يؤنسه قريـــــب ولا يـــــأوي لغربتـه رحيـــم

ولم ينقطـع أبـو تمـام عـن بـاب ابـن طـاهر في خراسـان، ولم يـزل كذلك حتى رضي عنه.

أحداث إيران في شعر أبي تمام

في سنة ٢٢٠ كانت موقعة «أرشق» التي هُزم فيها بابك، فقال أبو تمام شعرًا في هذه الموقعة وفي الافشين قائد جيش المعتصم وفي

قواد آخرين. ويواصل أبو تمام قصائده المستمدة من هذه المعارك حتى سنة ٢٢٣ حين أخذ بابك. ومن القواد الذين مدحهم في هذه المعارك أبو سعيد محمد بن يوسف الطائي الثغري (نسبة لعمله معظم أيامه في ثغور المسلمين)، أحد قواد هذه المعارك، وهو من مرو، وله فيه قصائد كثيرة منها الدالية:

فاشدد يديك على يدي وتلافني من مطلبٍ كدِر الموارد راكد

ومن هؤلاء القواد مهدي بن أصرم وهو طائي، وله فيه قصيدة مطلعها:

خذي عبرات عينك من زماعي وصوني ما أذلت عن القناع

ويقول فيه:

عميدُ الغوث إن نُوَب الليالي سطت وقريعها عند القراع

وحين يقتل – محمد بن حُميد الطوسي الطائي في معاركه مع بابك يرثيه أبو تمام بقصيدة رائعة ذكرنا مطلعها وفيها يقول:

وما مات حتى مات مضرب سيفه

من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

فأثبت في مستنقع الموت رجله

وقال لها: من تحت أخمصك الحشر

والبيت الأخير إشارة إلى ثبات الطوسي في المعركة بعد أن فرّ مَنْ حوله من المقاتلين.

ثم يسجل أبو تمام انتصار الخليفة على بابك سنة ٢٢٣ فيشيد بالخليفة وبالافشين في ثلاث قصائد مطلع الأولى:

غـدا الملـك معمـور الحـرا والمنـازل

منـوّر وحـف الـرّوض عـذب المناهـل

وفيها يقول عن الافشين:

لقـد لـبس الأفشـين قسـطلة الـوغى

محسًا بنصل السيف غير مواكل

والثانية:

آلت أمور الشرك شرّ مـــآل وأقرّ بعـــد تحفظ وصيال

ويذكر فيها الافشين أيضًا إذ يقول:

فرماه بالأفشين بالنجم الذي صدع الدجىصدعالرداءالبالي

ويخصص قصيدة لمدح الأفشين مطلعها:

بـذّ الجـلاد البذّ فهو دفينُ ما إن به الاالوحوشَ قطين

ويقول فيها:

بـل كـان كالضـحاك في سـطواته

بالعـــالمين وأنـــت إفريـــدون

فسيشـــكر الإســـلام مـــا أدليتـــه

والله عنـــه وبالوفـــاء ضـــمين

وفي ديـوان أبـي تمـام مـدح لإسـحاق بـن إبـراهيم المصـعبي الـذي أرسله المعتصم لإخضاع المحمّرة المار ذكرهم، في قصيدة مطلعها:

خشنْت عليه، أختَ بني خُشين وأوقع فيك قول العاذلين

أنـــأيا واغتـــرابا؟ أي صبرِ على البلوى يعرّس بين ذين

وقال أخرى مطلعها:

أصغى إلى البين مفترًا فلا جرما إن النوى أسأرت في عقله لَمَما

وفيها يقول:

ويوم الأخيرج والألباب طائرةٌ لولم تكن حامي الإسلام ما سلما

وحين قلب الخليفة ظهر المجن لافشين ونكل به سجّل أبو تمام هذه الحادثة مادحا الخليفة مصورًا كفران الافشين بالنعمة في قصيدة مطلعها:

الحق أبلج والسيوف عوار فحذار من أسدِ العرين حذار

وفيها يقول:

ما كان لولا فحش غدرة خيذر ليكون في الإسلام عام فجار

مازال سرّ الكفر بين ضلوعه حتى اصطلى سرّ الزناد الواري

وهكذا نرى أنّ أبا تمام يسجل الأحداث الهامّة التي ألمت بإيران في عصره.

أثر إيران في شعر أبي تمام

يرى النقاد أن المعارك التي شهدها أبو تمام في إيران «قد أعطت شعره لونًا جديدًا. ذلك أن شعر أبي تمام قبلها كان لا يكثر فيه وصف الحرب، أما بعد هذه الموقعة فقد كثر كثرة جعلته من مميزات شعره».

وليس هذا فحسب بل إن شعر أبي تمام قد حدثت فيه نقلة نوعية بعد سنة٢٢٠. فهذه السنة «وما بعدها من حياة أبي تمام هي السنين التي يبدو فيها خصبه النفسي بأجلى ما ظهر في شعره طول حياته». و «***رحلة أبي تمام إلى خراسان ختام طور من أطوار تاريخ شعر أبي تمام، وبدء طور جديد يتميز عن جميع عهوده الماضية. فبعد رجعة أبي تمام من خراسان يبدأ دور أنضج شعره وأكمله. ففي قصائده طول غير متكلف، وخصب واضح ولين، وفي التيار النفسي الجاري فيها أريحية وحلاوة، وفي حسّه تركز وعمق***».

وإثبات هذه الأحكام يحتاج إلى دراسة لما قاله من شعر بعد سفره إلى خراسان، وهو مالا يستوعبه هذا المقال، لكنها بحق دراسة تستحق الاهتمام من الباحثين في الأدب العربي، ***وخاصة من يهمهم التواصل الثقافي بين إيران و العرب.***

وما هو العنصر الذي توفر لأبى تمام في إيران حتى جعل شعره يتميز بنضوج أكثر وخصب وأريحية وحلاوة وتركز وعمق؟ في اعتقادنا أن الحريّة التي توفرت لأبى تمام في إيران هي التي فجّرت في نفسه هذه الطاقات الكامنة. لقد ابتعد الشاعر عن مركز الخلافة وحاشية الخلافة، فأصبح يعيش في جزء كبير من حياته لعواطفه ومشاعره الخاصّة، لا للخليفة والأمير والوزير. وكان عبد الله بن طاهر في شخصيته الأدبية ومكانته المرموقة غير

مكترث بأبي تمام، ولذلك تركه حالما رأى منه مايسيئه. وهذا أدّى إلى عدم ارتباط الشاعر ببلاط ابن طاهر، وإلى أن تتوفر له فرصة إنشاد الشعر الواقعي الذي يعبر عن شعور الشاعر. ***ثم إن الهجرة والتفاعل الثقافي بين الشاعر العربي والبيئة الفارسية من عوامل الخصب والنماء في الثقافات والحضارات، وهذا ما نراه عند كل الشعراء النابهين الذين زاروا إيران.***

ومسك ختام زيارة أبي تمام لإيران تأليفه كتاب «الحماسة» فانه لما وصل همدان، وكان في زمن الشتاء، والبرد بتلك النواحي شديد، قطع عليه كثرة الثلوج طريق مقصده، فنزل عند بعض وجوه المدينة. وكان بيته عامرًا بالكتب وفيها دواوين العرب، فتفرّغ أبو تمام لمطالعتها، واختار منها كتاب «الحماسة» وعليها شروح كثيرة، أشهرها شرح التبريزي، وشرح المرزوقي.

من الأخطار التي تحدق بالحديث عن الحرية في عصرنا انطلاق بعض المثقفين من روح الهزيمة أمام الغرب في تناول هذا الموضوع. هذا التقليد الأعمى للغرب أوقع هذه الجماعة من مثقفي العالم الثالث في جدل وقيل وقال، وهو ما يسميه الإمام الخامنئي بالترف الفكري.

أخبار الساعة*

مؤتمر دولي حول التفاهم الثقافي والحوار بالدنمارك

عُقد في الدنمارك المؤتمر الدولي حول التربية على التفاهم الثقافي والحوار.

بحث المؤتمر سبل تنمية الأدوات والمقررات التربوية لتشجيع الحوار بين الثقافات، والتعاون بين مؤسسات التعليم العالي وبرامج تبادل الطلاب.

كما نوقشت العلاقة بين الدين والتنوع الثقافي، وقُدمت مقترحات ومبادرات ملموسة من أجل تعزيز التربية على التفاهم الثقافي والحوار، والتركيز على مبدأ "العيش المشترك" وسبل تطويره بشكل أفضل، والقيم والكفاءات الضرورية لذلك.

وتبادل الاختصاصيون والعاملون في ميدان التربية والحوار ما بين الثقافات، معلوماتهم وخبراتهم من خلال المشاركة في ثلاث مجموعات عمل مخصصة للمواضيع التالية، إعداد برامج ومواد تربوية، التعاون بين مؤسسات التعليم العالي وبرامج التبادل للطلاب، والدين والتنوع الثقافي.

ويأتي هذا المؤتمر عقب مؤتمر سابق كان قد عقد في يونيو الماضي في الرباط عاصمة المغرب، حول الثقافات والحضارات عبر

---

* - من وكالة أنباء التقريب الدولية.

المبادرات الملموسة والمدعومة.

وقد تم تنظيم هذا الحدث بمبادرة من وزارة الخارجية الدنمركية بالمشاركة مع اليونسكو ومنظمة المؤتمر الإسلامي ومجلس أوروبا والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (أيسيسكو) والمنظمة العربية للثقافة والعلوم (أليسكو) وتحالف الأمم المتحدة المعني بالحضارات ومؤسسة (أنا ليند).

على الدول الاسلامية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع المسيئين إلى الاسلام والنبي الكريم (ص)

المرجع الديني سماحة آية الله حسين النوري الهمداني أشار الى إقدام ألمانيا على الإساءة الى الدين الاسلامي الحنيف في الآونة الأخيرة بتنظيمها مسابقة للاستهزاء بشخص النبي الكريم (ص)، وقال: إن مثل هذه الإساءات تبعث على الألم والأسى العميق، وكلنا أمل أن تبادر حكومتنا إلى اتخاذ الإجراءات المناسبة تجاه ذلك.

وأوضح سماحته أن الدول الغربية مدينة في تقدمها وتطورها العلمي إلى المسلمين، وقال: حينما كان النبي الكريم (ص) يحث على طلب العلم وجاء برسالة سماوية عظيمة، فازدهرت البحوث العلمية في بلاد المسلمين، كانت الدول الغربية تعيش في فقر علمي مدقع وجهل مطبق؛ ثم أخذت أوربا تدرس كتب علماء

المسلمين طيلة قرون من الزمن.

وطالب سماحته باتخاذ تدابير صارمة وحازمة مع كل من يسيء إلى الدين الإسلامي ومقدسات المسلمين، مضيفاً: على المسلمين كافة الوقوف صفاً واحداً بوجه المعتدين الطامحين الى النيل من المقدسات الإسلامية، وعدم السماح لهم بتكرار مثل هذه الإساءات.

وتابع سماحته: اليوم هو يوم الصحوة الإسلامية، فيتعين على الدول الاسلامية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع من يسيء الى مقدساتها.

مؤتمر دولي لعلماء الدين في تركيا

عقدت رئاسة الشؤون الدينية التركية مؤتمراً دولياً لعلماء الدين، شارك فيه عدد كبير من العلماء والمنظمات والجمعيات الإسلامية من مختلف أنحاء العالم، في مدينة اسطنبول التركية.

وقالت رئاسة الشؤون الدينية، إن المؤتمر الذي عقد تحت رعاية صندوق الأمم المتحدة للسكان، كان فرصة ثمينة للتعاون في حل كافة المشاكل التي تعترض علماء الدين في مختلف العالم. وأضافت، إن المؤتمر الذي استمر يومين استهدف تشكيل تجمع ديني موحد يتخذ من الإيمان والعقيدة الدينية أساساً مشتركاً للتعاون والتعاضد أمام المشاكل التي يواجهها المجتمع الدولي في

العصر الحديث.

ومن جانب آخر، حذر نائب رئيس هيئة الشئون الدينية التركية، محمد جورماز، من خطورة بعض المسلسلات التركية التي تتناول ما يناقض العقيدة الإسلامية.

خلافات أوروبية بشان التعامل مع الحضور الإسلامي

تشهد المؤسسات الاتحادية الاوروبية في بروكسل خلافات فعلية بشان التعامل مع الحضور الإسلامي في أوروبا وتحديداً الربط بين هذا الحضور وظاهرة العنف السياسي والإرهاب وعلاقة الدين الإسلامي بحالات التطرف.

وعاد الجدل للاحتدام بين مختلف الهيئات الأوروبية الرئيسية في اوساط المفوضية الأوروبية والبرلمان والمجلس الوزاري الأوروبي بعد تكرار حالات اعتقال رعايا مسلمين، أو رعايا أوروبيين اعتنقوا الإسلام، ويشتبه في تورطهم في أعمال للعنف، وهو ما حصل في الآونة الأخيرة في ألمانيا وعبر عدة حالات محددة، آخرها اعتقال اثنين من الصوماليين في مطار كولونيا .

وكان المجلس الوزاري الأوروبي طلب من المفوضية الاوروبية إعداد تصور بشان أفضل السبل لإرساء آلية مشتركة بين دول التكتل لاحتواء ظاهرة التشدد والتطرف .

وقال مصدر مطلع في بروكسل إن هذا الجانب المحدد من

السياسة الاوروبية هو محل الخلاف حيث رفض عضو المفوضية الأوروبية المكلف بشؤون الأمن والعدل الفرنسي «جاك بارو» التوقيع على وثيقة أعدها خبراء الجهاز التنفيذي الأوربي لعرضها أمام القمة الأوروبية بشان صياغة إستراتيجية تعمل مع ظاهرة التشدد الإسلامي في أوروبا.

وأوضح المصدر أن المفوض الأوروبي اعتبر أن فحوى الوثيقة يتضمن تحاملاً غير مبرر على الجالية الإسلامية في أوروبا، وأن الوثيقة تجاوزت في بعدها إطار التعاطي مع ظاهرة التشدد لتركز انتقاداتها على الجالية الإسلامية بشكل عام، بسبب ديانتها وليس لأي سبب أخر.

وفد مسيحي وصابئي يزور آية الله السيستاني

زار وفد مشترك يمثّل مسيحيي الموصل والصابئة المندائيين آية الله السيستاني في مكتبه بمدينة النجف الاشرف واستمع الى ملاحظاته وتوصياته حول مجمل القضايا التي تخص الساحة العراقية.

وذكرت قناة الفرات الفضائية أن رئيس الوقف المسيحي عبد الله هرمز النوفلي قال بعد لقائه آية الله السيد السيستاني في مقر إقامته بمحافظة النجف الأشرف يوم الاثنين:" إن السيد السيستاني أعطانا ملاحظات ونحن نطلب من السياسيين أن

يأخذوا بملاحظاته حتى يبعدوا الأذى عن العراق والعراقيين.

وطالب النوفلي السياسيين العراقيين بأن يأخذوا بملاحظات المرجع السيستاني لحفظ العراق والعراقيين وتعزيز وحدته وترسيخ تطلعات أبنائه.

هاشمي رفسنجاني يدعو إلى محورية المرجعية والإسلام لحل أزمات العراق

اعتبر رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام أكبر هاشمي رفسنجاني المرجعية الدينية والإسلام أفضل ضامن لمصالح الشعب العراقي مؤكداً ضرورة توحيد صفوف كل التيارات والأحزاب السياسية في العراق.

أعلن ذلك لدى استقباله الدكتور إبراهيم الجعفري رئيس حزب الدعوة الإسلامية العراقي.

واعتبر رئيس مجلس خبراء القيادة حضور الشعب العراقي في الساحة دليلاً على نمو هذا الشعب واهتمامه بالقضايا الأساسية للعراق، مؤكداً أن العراقيين يطالبون بتحديد مصيرهم بأنفسهم والحفاظ على استقلال بلادهم ويتفهمون التهديدات التي يتعرضون لها جيداً .

و شدد هاشمي رفسنجاني على أن استمرار احتلال العراق من قبل القوات الغازية يعتبر أهم عامل للانفلات الأمني الذي يعاني

منه هذا البلد في الوقت الحاضر والمنطقة برمتها، وأكد أن إطلاق شعار مكافحة الإرهاب وإحلال الديمقراطية كانا من الذرائع التي تشدق بهما المحتلون لخداع العراقيين .

و بدوره وصف الجعفري الأوضاع الجارية في العراق بالصعبة للغاية، إلا أنها في حال تغيير وتقدم، موضحًا أن الشعب العراقي يطالب بتسلم مصيره بنفسه وإدارة شؤونه على أساس المبادئ الاسلامية

واعتبر تدخل القوات المحتلة في الشؤون الداخلية للعراق والشروط التي تتضمنها الاتفاقية الأمنية بأنها تضر الشعب العراقي ومصالحه الوطنية.

صراع الأفلام أم مصالح الشعوب؟

كتب الدكتور حسن حنفي: مازالت العلاقات بين مصر وإيران تسودها القطيعة منذ ثلاثين عاماً، منذ اندلاع الثورة الإسلامية في فبراير ١٩٧٩. وفرق في السياسة بين القطيعة والخلاف. لا توجد قطيعة مطلقة في السياسة بين شعبين او بين نظامين سياسيين. بل تظل الأبواب موازية. إذ تتغير المصالح كما تتغير العلاقات الإقليمية والدولية طبقاً للظروف والأحداث السياسية في عصر سريع التغير والإيقاع.

وكلما تتقارب العلاقات وتهدأ النفوس، وتتغلب مصالح

الشعوب على أهواء الأفراد والضغوط الدولية تثار زوابع من جديد فتتباعد العلاقات، وتحتد النفوس، ويبدأ التراشق الإعلامي بين البلدين الشقيقين.

في الظاهر الخلاف على اسم شارع وكادت المشكلة تسوى بتغيير الإسم الى اسم جمال عبد الناصر أو محمد الدرة والآن ظهرت مشكلة فيلم "إعدام فرعون". لا شأن للجمهورية الإسلامية به، فيلم تسجيلى عن نهاية الجمهورية الثانية، ولو كان قد تم في الولايات المتحدة الأمريكية أو في إسرائيل مثل كثير من الأفلام عن نهاية رؤساء الدول السابقين لما قامت هذه الزوبعة. وفي حالة الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم لم تقطع مصر علاقاتها الدبلوماسية مع الدنمارك، بل تركت الأمر للمقاطعة الشعبية، وفي الأفلام التي صنعتها هوليود عن عبد الناصر وتصويره بالديكتاتور لم تقطع مصر علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية.. وكم من الأفلام عن مصر تسيء إلى تاريخها وتصفه بالفرعونية، وعن الإسلام وتصوره بالتخلف والعنف والإرهاب، ولم تدافع مصر لا عن تاريخها، ولا عن ثقافتها ولا عن دينها.

مازالت إيران تقاوم الاستعمار الأمريكي وقوى الاستكبار العالمي وتمثل قوة عسكرية رادعة في المنطقة، وتستطيع صواريخها الوصول الى قلب إسرائيل، وفي طريقها لأن تكون قوة نووية رادعة

للسلاح النووي الإسرائيلي، وظهيراً للعرب الذين مازالوا خالين منه بدعوى جعل المنطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل. لا تستسلم للتهديدات العسكرية، ولا تخضع للمغريات الاقتصادية، وتفاوض الوكالة الدولية للطاقة الذرية والغرب وأمريكا من موقع قوة كندّ متكافئ. وقد اجبرت أمريكا على الجلوس حول مائدة المفاوضات وعلى فتح سفارة لها في إيران، وعلى تسيير خط طيران مباشر بين طهران ونيويورك. وتراجعت التهديدات الأمريكية والتلويح بالحرب.

أما نحن العرب، فقد طَعَنّا الثورة الإسلامية الوليدة في الظهر بعد عام من ولادة الجمهورية الاسلامية بايعاز من الولايات المتحدة وبدعوى تحرير الأهواز!! وخسرنا أربعة آلاف دبابة في حرب دامت أكثر من ثماني سنوات كانت تكفي لإقامة حزام دفاعي حول اسرائيل...

ايران تطلب من اوروبا وضع قوانين لمنع الإساءة إلى الاديان

دعا وزير الخارجية الإيراني أوروبا إلى وضع قوانين تؤكد أن الإساءة إلى الأديان تختلف عن مفهوم حرية الرأي، مضيفاً أن فقدان القوانين المناسبة لا ينبغي أن يتحول الى ذريعة لحماية المسيئين للمتدينين، وفي هذه الحال لا يمكن توقع التعايش السلمي.

وأضاف وزير الخارجية أن من الضروري الاهتمام بالأوامر الإلهية، وتجنب التفرد والاستبداد الفكري والسياسي، مشيرًا الى أن الليبرالية الديمقراطية سعت الى تحويل العداء للإسلام إلى فكرة مؤدلجة في الغرب، وفي هذا المجال تمت الاستفادة من الأكاديميين والجامعيين بشكل كبير، لتصبح هذه النظرية أساسًا للتخطيط في إدارة الرأي العام والسياسة الخارجية.

وتابع أن الإصرار على العلمانية له جذور سياسية بحتة، وليست ثقافية، وهي ناجمة عن تعريف الغرب للنظرية الليبرالية الديمقراطية والتي أصابها الفشل بانتصار الثورة الإسلامية الايرانية وما تلاها من تطورات.

وانتقد وزير خارجية الجمهورية الاسلامية الايرانية ازدواجية الغرب في التعامل مع التطرف والمتطرفين، فمن جهة يدعي محاربة التطرف والسعي للسيطرة عليه، ومن جهة يطلق محادثات مع المتطرفين، داعيًا الغرب الى اعتماد نظرة واقعية في تحليل سياساته، وأن يمهد لاتخاذ آليات مناسبة لمواجهة حالات العداء للاسلام.